۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

قال اللّه فى عقوبة قومه:(وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ)ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم فننزل

(مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)لإتلافهم

(وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ)لعدم الحاجة إلى ذلك و عظمة اقتدار اللّه تعالى و شدة ضعف بنى آدم

و أنهم أدنى شىء يصيبهم من عذاب اللّه يكفيهم

قَالَ قَتَادَةُ:-فَلَا وَ اللهِ مَا عَاتَبَ اللَّهُ قَوْمَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ 28

(إِن كَانَتۡ)عقوبتهم (إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ)صوتا واحدا تكلم به بعض ملائكة اللّه

(فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ)قد تقطعت قلوبهم فى أجوافهم و انزعجوا لتلك الصيحة

فأصبحوا خامدين لا صوت و لا حركة و لا حياة بعد ذلك العتو و الاستكبار

و مقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح و تجبرهم عليهم29

قال اللّه متوجعا للعباد:-(يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ)عَلَى أَنْفُسِهَا عَلَى مَا ضَيَّعَتْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ و فَرَّطَتْ فِي جَنْبِ اللَّهِ.
فَيَا حَسْرَتَهُمْ وَ نَدَامَتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَايَنُوا الْعَذَابَ كَيْفَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللَّهِ وَ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ
*ما أعظم شقاءهم و أطول عناءهم و أشد جهلهم حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة التى هى سبب لكل شقاء

و عذاب و نكال.

(مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) بِهِ و يُكَذِّبُونَهُ وَ يَجْحَدُونَ مَا أُرْسِلَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ30

(أَلَمْ يَرَوْا)أي هؤلاء و يعتبروا

(كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم)بمن قبلهم

(مِّنَ ٱلْقُرُونِ)الامم المكذبة التي أهلكها الله تعالى و أوقع بها عقابها

(أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ)و أن جميعهم قد باد و هلك فلم يرجع إلى الدنيا و لن يرجع إليها31

(وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)

و سيعيد اللّه الجميع خلقا جديدا و يبعثهم بعد موتهم و يحضرون بين يديه تعالى

ليحكم بينهم بحكمه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة(وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)

*وَ مَعْنَى هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{وَإِنَّ كُلا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} [هُودٍ: 111] 32

(وَءَايَةٌ لَّهُمُ)على البعث و النشور و القيام بين يدى اللّه تعالى للجزاء على الأعمال

مظاهر قدرة الله 33-44

هذه (ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ)أنزل اللّه عليها المطر

(أَحْيَيْنَٰهَا)فأحياها بعد موتها

(وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ)من جميع أصناف الزروع و من جميع أصناف النبات التي تأكله أنعامهم33

(وَجَعَلْنَا فِيهَا)في تلك الأرض الميتة

(جَنَّٰتٍ)بساتين فيها أشجار كثيرة و خصوصا النخيل و الأعناب اللذان هما أشرف الأشجار

(وَفَجَّرْنَا فِيهَا)في الأرض

(مِنَ ٱلْعُيُونِ)جعلنا في الأرض تلك الأشجار و النخيل و الأعناب34

(لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ)قوتا و فاكهة و أدْمًا ولذة

(و)الحال أن تلك الثمار(وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)

ليس لهم فيه صنع و لا عمل إن هو إلا صنعة أحكم الحاكمين وخير الرازقين

*و أيضا فلم تعمله أيديهم بطبخ و لا غيره فهذه الثمارلا تتاج لطبخ و لا شيّ تؤكل في الحال بعد قطفها

(أَفَلَا يَشْكُرُونَ)من ساق لهم هذه النعم و أسبغ عليهم من جوده وإحسانه ما به تصلح أمور دينهم و دنياهم

أليس الذي أحيا الأرض بعد موتها فأنبت فيها الزروع و الأشجار و أودع فيها لذيذ الثمار و أظهر ذلك الجنى من تلك الغصون و فجر الأرض اليابسة الميتة بالعيون بقادر على أن يحيِي الموتى؟بلى إنه على ذلك قدير35

(سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ) الأصناف (كُلَّهَا)

(مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ)فنوع فيها من الأصناف ما يعسر تعداده

(وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ)فنوعهم إلى ذكر و أنثى و فاوت بين خلقهم و خُلُقِهِمْ و أوصافهم الظاهرة و الباطنة.

{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [الذَّارِيَات: 49] .

(وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ)من المخلوقات التى قد خلقت وغابت عن علمنا و التى لم تخلق بعد

فسبحانه و تعالى أن يكون له:– شريك أو ظهير أو عوين أو وزير أو صاحبة أو ولد أو سَمِيٌّ أو شبيه أو مثيل فى صفات كماله و نعوت جلاله أو يعجزه شيء يريده36

*وَ مِنَ الدَّلَالَةِ لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةِ خَلْقُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ هَذَا بِظَلَامِهِ وَ هَذَا بِضِيَائِهِ وَ جَعَلُهُمَا يَتَعَاقَبَانِ يَجِيءُ هَذَا فَيَذْهَبُ هَذَا وَ يَذْهَبُ هَذَا فَيَجِيءُ هَذَا كَمَا قَالَ:{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} [الْأَعْرَاف: 54]
*وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ هَاهُنَا:-



(وَءَايَةٞ لَّهُمُ)على نفوذ مشيئة اللّه و كمال قدرته و إحيائه الموتى بعد موتهم.

(ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ)نزيل الضياء العظيم الذى طبق الأرض

الاعجاز العلمي:–

قد تأكد بما لا يقبل الشك أن الكون كله يعيش فى ظلمة سرمدية موحشة

و قد توصّل إلى هذه الحقيقة و شاهدها بعينه رواد الفضاء عندما هيأ الله لهم أسباب الخروج عن كوكبنا و السباحة في الفضاء خارج نطاق الجاذبية الأرضية و خارج ضوء الأرض المتأتى لها من الشمس و المحيط بها و كأنه هالة من النور لا يكاد يجاوز بضع كيلومترات.

[إن المسافة بيننا و بين الشمس هى 150 مليون كم و إن طبقة النور التى تحيط بالأرض لا تتجاوز 200 كم]

و إن الضوء الواصل إلينا إنما هو ذلك المنطلق من كوكب الشمس الذى خلقه الله بهذه الصورة العظيمة ذلك الكوكب الملتهب ليلاً و نهاراً سخره الله سبحانه لأهل الأرض من جنهم و إنسهم.

إن المسافة بين الشمس و الأرض أكبر بكثير من مسافة النور على سطح الأرض أو عمود النور إذا ما قسنا سمك النور بخط مستقيم أوله سطح البحر و أخره عند آخر نقطة من الخط المستقيم للنور فى السماء و عندها يمكن تشبيهه بهالة من النور تحيط بالكرة الأرضية فتبدو للرائى من على بعد لها و كأنها جلدة رقيقة جداً

إن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار أو ضوء النهار هو الهواء (الغلاف الغازى)كما يسمى علمياً و الذى يحيط بالأرض أو قل إن شئت هو جميع أنواع الجسيمات المحيطة بالكرة الأرضية من غازات و فوتونات و جسيمات و غيرها (كما يحيط جلد الحيوان بجسده)

كما أن الظلام سائد في الفضاء الكونى بصفة عامة لعدم وجود جسيمات كافية فيه لإحداث التشتت لضوء الشمس و لضوء غيرها من النجوم

و هذا الضوء لا يظهر إلا بالانعكاس على أسطح الكواكب وأسطح غيرها من الأجرام المعتمة أو بالتشتت فى أغلفتها الجوية إن كانت بها جسيمات كافية للقيام بهذا التشتت

فشبه خروج النهار من الليل بانسلاخ الجلد المسلوخ وذلك أنه لما كانت مبادئ الصبح عند طلوعه ملتحمة بالليل –وكانهما برزخ لا يبغيان– أجرى عليهما اسم السلخ و كان ذلك أولى من أن لو قيل يخرج لأن السلخ أدل على الالتحام من الإخراج وهذا تشبيه في غاية المناسبة

لأن انسلاخ الشىء عن الشيء أن يبرأ منه ويزول عنه حالاً فحالاً كذلك انفصال الليل عن النهار والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من زيادة البيان

إن الله تعالى ينزع طبقة النهار من محيط الأرض التي يتغشاها الليل كما ينزع جلد الحيوان عن لحمه ولا يكون ذلك إلا بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس فيتجلى الإعجاز القرآنى فى أنه عندما تتحرك الأرض و تدور حول نفسها فإن الليل يقوم على سلخ هذه الطبقة الرقيقة من النور.

(فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ)فنبدله بالظلمة و نحلها محله

و كذلك نزيل هذه الظلمة التى عمتهم و شملتهم فتطلع الشمس فتضىء الأقطار و ينتشر الخلق لمعاشهم و مصالحهم37

و لهذا قال:(وَٱلشَّمۡسُ)دائما

(تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ)

قدره اللّه لها لا تتعداه و لا تقصر عنه و ليس لها تصرف في نفسها و لا استعصاء على قدرة اللّه تعالى.

*{لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا} قَوْلَانِ:-

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ: مُسْتَقَرُّهَا الْمَكَانِيُّ و هُوَ تَحْتَ الْعَرْشِ

*البخارى4802 - عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي المَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَقَالَ:-«يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟»قُلْتُ:-اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:-«فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ»فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:-

{ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ} [يس: 38]

*البخارى4803 - عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس: 38]

قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ»

وَ الْقَوْلُ الثَّانِي:-أَنَّ الْمُرَادَ بِمُسْتَقَرِّهَا هُوَ: -مُنْتَهَى سَيْرِهَا

وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَبْطُلُ سَيْرُهَا وَتَسْكُنُ حَرَكَتُهَا وَ تُكَوَّرُ وَ يَنْتَهِى هَذَا الْعَالَمُ إِلَى غَايَتِهِ

وَهَذَا هُوَ مُسْتَقَرُّهَا الزَّمَانِيُّ

*البخاري :-3199 - عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ:-قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِى أَيْنَ تَذْهَبُ؟»

قُلْتُ:-اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:-فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا

وَ يُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا وَ تَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا:-ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ

فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ{وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ}[يس38]

(ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ)الذى بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة بأكمل تدبير و أحسن نظام

(ٱلۡعَلِيمِ)الذى بعلمه جعلها مصالح لعباده و منافع فى دينهم و دنياهم-بِجَمِيعِ الْحَرَكَاتِ وَ السَّكَنَاتِ

وَ قَدْ قَدَّرَ ذَلِكَ و قَنَّنَه عَلَى مِنْوَالٍ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَ لَا تَعَاكُسَ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[الأَنْعَام: 96] 38

(وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ)ينزل بها كل ليلة ينزل منها واحدة

*جَعَلْنَاهُ يَسِيرُ سَيْرًا آخَرَ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى مُضِيِّ الشُّهُورِ كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ يُعْرَفُ بِهَا اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}[الْبَقَرَة: 189]

وَ قَالَ{هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ}[يُونُس: 5]

وَ قَالَ:-{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا}[الإِسْرَاء: 12]

(حَتَّىٰ)يصغر جدا(عَادَ)فيعود (كَٱلۡعُرۡجُونِ)كعرجون النخلة(ٱلۡقَدِيمِ)الذى من قدمه نش و صغر حجمه و انحنى

(المتقوس فى الرقة و الانحناء و الصفرة لقدمه و يُبْسه)

ثم بعد ذلك ما زال يزيد شيئا فشيئا حتى يتم نوره و يتسق ضياؤه39

*وَكُلٌّ من الشمس و القمر والليل و النهار قدره اللّه تقديرا لا يتعداه وكل له سلطان و وقت إذا وجد عدم الآخر

و لهذا قال:–(لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ)تلحق

(ٱلۡقَمَرَ)فى سلطانه الذي هو الليل فلا يمكن أن توجد الشمس فى الليل

(وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ)فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه

(وَكُلٌّ)من الشمس والقمر والنجوم(فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ)يسيرون–يترددون على الدوام 40

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

(وَءَايَةٌ)دليل و برهان(لَّهُمْ)على أن اللّه وحده المعبود لأنه المنعم بالنعم الصارف للنقم الذى من جملة نعمه

(أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ)قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آباؤهم.

(فِى ٱلْفُلْكِ)السَّفِينَةِ (ٱلْمَشْحُونِ)

الْمَمْلُوءَةِ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ41

(وَخَلَقْنَا لَهُم)للموجودين من بعدهم

(مِّن مِّثْلِهِۦ)من مثل ذلك الفلك أي: جنسه– أو الإبل التى هي سفن البر

(مَا يَرْكَبُونَ)به فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن لأن النعمة عليهم نعمة على الذرية.

فحملهم اللّه تعالى و نجاهم بالأسباب التي علمهم اللّه بها من الغرق

*فلما وصلت فى الكتابة إلى هذا الموضع:–ظهر لى معنى ليس ببعيد من مراد اللّه تعالى

و ذلك أن من عرف جلالة كتاب اللّه و بيانه التام من كل وجه للأمور الحاضرة و الماضية و المستقبلة

وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله و كانت الفلك من آياته تعالى و نعمه على عباده

من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة و لم تزل موجودة في كل زمان إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم اللّه تعالى بالقرآن و ذكر حالة الفلك و علم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم و فى غير زمانهم حين يعلمهم صنعة:-

الفلك البحرية الشراعية منها و النارية و الجوية السابحة فى الجو كالطيور و نحوها و المراكب البرية

مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا فى الذرية:- نبَّه فى الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها

و لهذا نبههم على نعمته عليهم حيث أنجاهم مع قدرته على ذلك فقال:-

(وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ)مغيث(لَهُمْ)لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة و لا يزيل عنهم المشقة

(وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ)مما هم فيه 43

(إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا)

وَ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ تَقْدِيرُهُ:-وَ لَكِنْ بِرَحْمَتِنَا نُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ و نُسَلِّمكم إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى

وَ لِهَذَا قَالَ:-{وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ}وَقْتٍ مَعْلُومٍ عِنْدَ اللَّهِ حيث لم نغرقهم لطفا بهم وتمتيعا لهم إلى حين

لعلهــــــــــم :-

1-يرجعــــــــون

2-أو يستـــدركون ما فرط منهم44

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ)من عذاب الدنيا(من العقوبات) أى بالإيمان و الاستقامة.

(وَمَا خَلْفَكُمْ)من أحوال البرزخ و القيامة

(لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

لَعَلَّ اللَّهَ بِاتِّقَائِكُمْ ذَلِكَ يَرْحَمُكُمْ وَ يُؤَمِّنُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ فأعرضوا عن ذلك فلم يرفعوا به رأسا و لو جاءتهم كل آية45

و لهذا قال: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ)

و فى إضافة الآيات إلى ربهم دليل على كمالها و وضوحها لأنه ما أبين من آية من آيات اللّه و لا أعظم بيانا.

و إن من جملة تربية اللّه لعباده أن أوصل إليهم الآيات التى يستدلون بها على ما ينفعهم فى دينهم و دنياهم.

(إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)و لم ينتفعوا بها46

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)من الرزق الذى منَّ به اللّه عليكم و لو شاء لسلبكم إياه

(قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا)معارضين للحق محتجين بالمشيئة:-

(أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ)أيها المؤمنون

(إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ)حيث تأمروننا بذلك.

وهذا مما يدل على جهلهم العظيم أو تجاهلهم الوخيم فإن المشيئة ليست حجة لعاص أبدا

فإنه و إن كان ما شاء اللّه كان و ما لم يشأ لم يكن

فإنه تعالى مكَّن العباد و أعطاهم من القوة ما يقدرون على:–فعـــل الأمـــر و اجتنــاب النهى

فإذا تركوا ما أمـــــروا بـــــــه:–كان ذلك اختيارا منهم لا جبرا لهم و لا قهرا47

اثبات البعث و أهواله 49-54

(وَيَقُولُونَ)على وجه التكذيب و الاستعجال:-

(مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)قال اللّه تعالى: لا يستبعدوا ذلك فإنه عن قريب48

(مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ)نفخة الصور(الْفَزَعِ)يُنْفَخُ فِي الصُّورِ و النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ و مَعَايِشِهِمْ

(تَأۡخُذُهُمۡ)تصيبهم

(وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ)لاهون عنها-يَخْتَصِمُونَ و يَتَشَاجَرُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ

*لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم و تشاجرهم بينهم الذى لا يوجد فى الغالب إلا وقت الغفلة.

و إذا أخذتهم وقت غفلتهم فإنهم لا ينظرون و لا يمهلون

*فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ فَنَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً يُطَوِّلُها و يَمُدُّها فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا و رَفَعَ لَيْتًا –وَ هِ ىَ صَفحَةُ الْعُنُقِ-يَتَسَمَّعُ الصَّوْتَ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ.
ثُمَّ يُسَاقُ الْمَوْجُودُونَ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَحْشَرِ الْقِيَامَةِ بِالنَّارِ تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ جَوَانِبِهِمْ
*مسلم (2940) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ
يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟
تَقُولُ:إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا فَقَالَ:-سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا –
لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا يُحَرَّقُ الْبَيْتُ
وَيَكُونُ وَيَكُونُ ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِى:-
أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ
فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ
فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ
حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ "
قَالَ:-سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:-فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ و أَحْلَامِ السِّبَاعِ
(يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية)
لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَ لَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟
فَيَقُولُونَ:-فَمَا تَأْمُرُنَا؟فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَ هُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ

ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَ رَفَعَ لِيتًا (أصغى أمال والليت صفحة العنق وهي جانبه)قَالَ:-
وَ أَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ(يطينه ويصلحه)
قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ-نُعْمَانُ الشَّاكُّ -
(الأصح الطل وهو الموافق للحديث الآخر أنه كمني الرجال)
فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ
ثُمَّ يُقَالُ:-يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ:
أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ

قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا وَ ذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ49

وَ لِهَذَا قَالَ:-(فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً)لا قليلة و لا كثيرة–عَلَى مَا يَمْلِكُونَهُ الْأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ

(وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ)لا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم بل يموتون في أسواقهم و مواضعهم50

(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ)

النفخـــــــة الأولى:–هى نفخة الفزع و الموت و هذه نفخة البعث و النشور

فإذا نفخ فى الصور (فَإِذَا هُم)خرجوا (مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ)القبور

(إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ)االنَّسلان هُوَ: -الْمَشْيُ السَّرِيعُ-لا يتمكنون من التأنِّى و التأخر
كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}[الْمَعَارِج: 43]

و فى تلك الحال يحزن المكذبون و يظهرون الحسرة و الندم51

(قَالُواْ)و يقولون:–(يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ)قُبُورِنا الَّتِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا
أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ مِنْهَا فَلَمَّا عَايَنُوا مَا كَذَّبُوهُ فِي مَحْشَرِهِمْ
*وَ هَذَا لَا يَنْفِي عَذَابَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا بَعْدَهُ فِي الشِّدَّةِ كَالرُّقَادِ.
وَقَالَ عدد من العلماء: يَنَامُونَ نَوْمَةً قَبْلَ الْبَعْثِ. قَالَ قَتَادَةُ:-وَ ذَلِكَ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ.
أي: من رقدتنا فى القبور لأنه ورد في بعض الأحاديثأن لأهل القبور رقدة قبيل النفخ في الصور فيجابون
*فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ أَجَابَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ -قَالَهُ غَيْرُ واحد من السَّلَفِ-:-

(هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ)به
وَ قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّمَا يُجِيبُهُمْ بِذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ.وَ لَا مُنَافَاةَ إِذِ الْجَمْعُ مُمْكِنٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ)و وعدكم به الرسل فظهر صدقهم رَأْىَ عين.

*و لا تحسب أن ذكر الرحمن فى هذا الموضع لمجرد الخبر عن وعده

*و إنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون

و لا حسب به الحاسبون كقوله:–

(الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)و نحو ذلك مما يذكر اسمه الرحمن فى هذا52

(إِن كَانَتْ)البعثة من القبور

(إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً)ينفخ فيها إسرافيل فى الصور فتحيا الأجساد

(فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)الأولون و الآخرون و الإنس و الجن ليحاسبوا على أعمالهم.

* كَقَوْلِهِ:-{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ* فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}[النَّازِعَاتِ:13 14]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ}[النَّحْلِ: 77]

وَقَالَ:{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا}[الْإِسْرَاءِ: 52] 53

(فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)لا ينقص من حسناتها و لا يزاد في سيئاتها

(وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

من خير أو شر فمن وجد خيرا فليحمد اللّه على ذلك و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه54

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ (55) هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (56)
لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (57) سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ (58) وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ (59)
۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ (60)
وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ (61) وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ (62)
هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ (63) ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ (64)
ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (65)
وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ (66) وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ (67) وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ
أَفَلَا يَعۡقِلُونَ (68) وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ (69)
لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (70)

لما ذكر تعالى أن كل أحد لا يجازى إلا ما عمله ذكر جزاء الفريقين فبدأ بجزاء أهل الجنة

ثواب المؤمنين فى الجنة 56-58

و أخبر (إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ)

(فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ)مفكه للنفس مُلِذٌ لها من كل ما تهواه النفوس و تلذه العيون و يتمناه المتمنون.

و من ذلك افتضاض العذارى الجميلات 55

كما قال:-(هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ)من الحور العين اللاتى قد جمعن حسن الوجوه و الأبدان و حسن الأخلاق.

(فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ)على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن-السُّرُرُ تَحْتَ الْحِجَالِ

(جمع حجلة و هى ستر يُضرب للعروس فى جوف البيت كالقبة يُزين بالثياب)

(مُتَّكِـُٔونَ)عليها اتكاء على كمال الراحة و الطمأنينة و اللذة56

(لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ)كثيرة من جميع أنواع الثمار اللذيذة من عنب و تين و رمان و غيرها

(وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ)يطلبون فمهما طلبوه و تمنوه أدركوه57

و لهم أيضا (سَلَٰمٞ)حاصل لهم

(مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ)ففى هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة و سلامه عليهم

*فَإِنَّ اللَّهَ نَفْسَهُ سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ هَذَا الَّذِى قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ كَقَوْلِهِ{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ}[الْأَحْزَابِ44]
و عند ذلك تحصل لهم السلامة التامة من جميع الوجوه

و أكده بقوله: (قَوْلًا)

و إذا سلم عليهم الرب الرحيم حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه و حصلت لهم التحية التى لا تحية أعلى منها و لا نعيم مثلها

فما ظنك بتحية ملك الملوك الرب العظيم الرءوف الرحيم لأهل دار كرامته الذى أحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا

فلولا أن اللّه تعالى قدر أن لا يموتوا أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح و البهجة و السرور لحصل ذلك.

فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم و أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

عقاب الكفار فى جهنم 59-68

(مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ)58

لما ذكر تعالى جزاء المتقين ذكر جزاء المجرمين (و) أنهم يقال لهم يوم القيامة

(وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ)يَتَمَيَّزُونَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْقِفِهِمْ- يَصِيرُونَ صدْعَين فِرْقَتَيْنِ

كَقَوْلِهِ{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ}[يُونُسَ:28]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} [الرُّومِ: 14] {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} [الرُّومِ: 43]

{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}[الصَّافَّاتِ: 22 23] 59

تميزوا عن المؤمنين و كونوا على حدة ليوبخهم و يقرعهم على رءوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار

فيقول لهم:-(۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ)آمركم و أوصيكم على ألسنة رسلى و أقول لكم:

(يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ)لا تطيعـــــوه؟

و هذا التوبيخ يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر و المعاصى لأنها كلها طاعة للشيطان و عبادة له

(إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)فحذرتكم منه غاية التحذير و أنذرتكم عن طاعته و أخبرتكم بما يدعوكم إليه60

(و) أمرتكم (وَأَنِ ٱعْبُدُونِى) بامتثال أوامرى و ترك زواجرى

(هَٰذَا)عبادتى و طاعتى و معصية الشيطان

(صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ)

فعلوم الصراط المستقيم و أعماله ترجع إلى هذين الأمرين أى:فلم تحفظوا عهدى و لم تعملوا بوصيتى فواليتم عدوكم 61

(وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا)خلقا

(كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ)فلا كان لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم و وليكم الحق و يزجركم عن اتخاذ أعدى الأعداء لكم وليا فلو كان لكم عقل صحيح لما فعلتم ذلك

فإذا أطعتم الشيطان و عاديتم الرحمن و كذبتم بلقائه و وردتم القيامة دار الجزاء وحق عليكم القول بالعذاب62

فـــــــــ(هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ)و تكذبون بها فانظروا إليها عيانا

فهناك تنزعج منهم القلوب و تزوغ الأبصار و يحصل الفزع الأكبر63

ثم يكمل ذلك بأن يؤمر بهم إلى النار و يقال لهم:-

(ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ)ادخلوها على وجه تصلاكم و يحيط بكم حرها و يبلغ منكم كل مبلغ

(بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ)بسبب كفركم بآيات اللّه و تكذيبكم لرسل اللّه.

لقوله {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا* هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ* أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطُّور: 13-15]64

*قال الله تعالى في بيان وصفهم الفظيع في دار الشقاء:-

(ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ)

بأن نجعلهم خرسا فلا يتكلمون فلا يقدرون على إنكار ما عملوه مـــن:-الكفــــــــر و التكـــــــذيب.

(وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)

تشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوه و ينطقها الذي أنطق كل شيء.

*مسلم (2969) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ:-«هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»
قَالَ قُلْنَا:-اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟
قَالَ:-يَقُولُ:-بَلَى قَالَ:فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي
قَالَ:-فَيَقُولُ:-كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا
قَالَ:-فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ(جوارحه): انْطِقِي قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ

قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَ سُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ(أدافع و أجادل)65

(وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ)بأن نُذْهِب أبصارهم كما طمسنا على نطقهم.

(فَٱسۡتَبَقُواْ)بادروا الى(ٱلصِّرَٰطَ) ليجوزوه لأنه الطريق إلى الوصول إلى الجنة

(فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ)فكيف يتحقق لهم ذلك و قد طُمِسَت أبصارهم66

(وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ)لأذهبنا حركتهم-لَجَعَلْنَاهُمْ حِجارَةً-لَغَيَّرْنَا خَلْقَهم.

(فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا)إلى الأمام

(وَلَا يَرۡجِعُونَ)إلى ورائهم ليبعدوا عن النار.

و المعنى: أن هؤلاء الكفار حقت عليهم كلمة العذاب و لم يكن بُدٌّ من عقابهم.

و فى ذلك الموطن:-ما ثَمَّ إلا النار قد برزت و ليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط

و هذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان الذين يمشون في نورهم

و أما هؤلاء فليس لهم عند اللّه عهد فى النجاة من النار فإن شاء طمس أعينهم و أبقى حركتهم

فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه و بادروه و إن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم و لا التأخر.

المقصود: أنهم لا يعبرونه فلا تحصل لهم النجاة67

(وَمَن نُّعَمِّرۡهُ) من بني آدم

(نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ)يعود إلى الحالة التى ابتدأ حالة الضعف ضعف العقل و ضعف القوة.

(أَفَلَا يَعۡقِلُونَ)

أن الآدمى ناقص من كل وجه فيتداركوا قوتهم و عقولهم فيستعملونها في طاعة ربهم-

(أَفَلَا يَعۡقِلُونَ)أنَّ مَن فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟

كَقَوله{اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الرُّوم: 54] وَ قَالَ:-{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الْحَجِّ: 5] 68

ينزه تعالى نبيه محمدا ﷺ عما رماه به المشركون من أنه شاعر و أن الذي جاء به شعر فقال:-

(وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ)أن يكون شاعرا أى: هذا من جنس المحال أن يكون شاعرا لأنه رشيد مهتد

و الشعراء غاوون يتبعهم الغاوون

و لأن اللّه تعالى حسم جميع الشبه التى يتعلق بها الضالون على رسوله فـــــــ:-

1-حسم أن يكون يكتب أو يقرأ

2-و أخبر أنه ما علمه الشعر و ما ينبغى له

نفى التهم عن النبى ﷺ 69-70

(إِنۡ هُوَ)ما هذا الذى جاء به

(إِلَّا ذِكۡرٞ) يتذكر به أولو الألباب جميع المطالب الدينية فهو مشتمل عليها أتم اشتمال

و هو يذكر العقول ما ركز اللّه فى فطرها من الأمر بكل حسن و النهى عن كل قبيح.

(وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ)لما يطلب بيانه.

و لهذا حذف المعمول ليدل على أنه مبين لجميع الحـــــــــق:-بأدلته التفصيلية و الإجمالية

و الباطـــــــل:- و أدلـــــــة بطـــــــلانه أنزله اللّه كذلك على رسول69

(لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا)حى القلب واعيه-حَيُّ الْبَصَرِ-مُسْتَنِيرُ الْبَصِيرَةِ-عَاقِلًا- كَقَوْلِهِ{لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}[الأَنْعَامِ 19]

وَ قَالَ:{وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ}[هُودٍ: 17]

*فهو الذى يزكو على هذا القرآن وهو الذى يزداد من العلم منه و العمل و يكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية.

(وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ)

لأنهم قامت عليهم به حجة اللّه و انقطع احتجاجهم فلم يبق لهم أدنى عذر و شبهة يُدْلُونَ بها.

*هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَ حُجَّةٌ عَلَى الكافر70

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

(أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ)

يأمر تعالى العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام و ذللها و جعلهم مالكين لها 31

من مظاهر قدرة الله 71-73

(وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ) مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها

و أنه جعل لهم فيها منافـــــع كثيـــــرة مـــــن-

1-(فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ)حملهـــــم و حمل أثقالهم و محاملهم و أمتعتهم من محل إلى محل

2-(وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)إذا شاؤوا نَحرُوا وَ اجْتَزرُوا[و من أكلهـــــم منها]72

(وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ)

3-و فيهـــــا دفء

4-و من أوبارهـــا و أشعـــارها و أصوافهـــا أثاثا و متاعا إلى حين

5-و فيها زينة و جمال و غير ذلك من المنافع المشاهدة منها

6-(وَمَشَارِبُ)مِنْ أَلْبَانِهَا وَ أَبْوَالِهَا لِمَنْ يَتَدَاوَى وَ نَحْوِ ذَلِكَ.

(أَفَلَا يَشْكُرُونَ)

اللّه تعالى الذي أنعم بهذه النعم و يخلصون له العبادة و لا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة و الفكرة73

مظاهر قدرة الله 33-44

(وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ)

هذا بيان لبطلان آلهة المشركين التي اتخذوها مع اللّه تعالى و رجوا نصرها و شفعها فإنها فى غاية العجز 74

(لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ) و لا أنفسهم ينصرون فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم فكيف ينصرونهم؟

و النصـــــــــر له شرطـــــــــان:-

1-الاستطاعـــــــــة

2-و القـــــــدرة

فإذا استطاع يبقى: هل يريد نصرة من عبده أم لا؟

فَنَفْىُ الاستطاعة ينفى الأمرين كليهما.

(وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ)

هم و هم فى العذاب و متبرئ بعضهم من بعض

أفلا تبرءوا فى الدنيا من عبادة هؤلاء و أخلصوا العبادة للذى بيده الملك و النفع و الضر و العطاء و المنع

و هو الولى النصير؟ 75

(فَلَا يَحۡزُنكَ)يا أيها الرسول- و تشغل قلبك بالحزن عليهم

(قَوۡلُهُمۡ)قول المكذبين-

المراد بالقول:-ما دل عليه السياق كل قول يقدحون فيه فى الرسول أو فيما جاء به.

(إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ)فنجازيهم على حسب علمنا بهم و إلا فقولهم لا يضرك شيئا76

*ثم ذكر الله شبهة منكرى البعث و الجواب عنها بأتم جواب و أحسنه و أوضحه فقال:-

(أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ)المنكر للبعث و الشاك فيه أمرا يفيده اليقين التام بوقوعه و هو ابتداء خلقه

(أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ)

مَنْ نُطْفَةٍ مِنْ أَخْلَاطٍ مُتَفَرِّقَةٍ فَالَّذِى خَلَقَهُ مِنْ هَذِهِ النُّطْفَةِ الضَّعِيفَةِ أَلَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى إِعَادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؟

ثم تنقله فى الأطوار شيئا فشيئا حتى كبر و شب و تم عقله و استتبط

من أدلة البعث 77-83

كقوله{ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ20فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ21 إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ}[الْمُرْسَلَات]

وَ قَالَ{إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ} [الإِنْسَان: 2]

*أحمد 17842-عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺبَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ

ثُمَّ قَالَ:قَالَ اللهُ: ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ

وَ لِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ فَجَمَعْتَ وَ مَنَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ

قُلْتَ:-أَتَصَدَّقُ وَ أَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ

*الصحيح المسند من أسباب النزول: الحاكم- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:-

إن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ:-

أيحيى الله هذا بعد ما أرم؟

فقال رسول الله ﷺ:-نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم

قال: و نزلت الآيات من آخر يس

(فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ)فإذا هو كثير الخصام واضح الجدال؟

*بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين و ليعلم أن الذى أنشأه من العدم قادر

على أن يعيده بعد ما تفرق و تمزق من باب أولى77

(وَضَرَبَ لَنَا)المُنْكر للبعث

(مَثَلًا)لا ينبغى لأحد أن يضربه و هـــــو:-

1-قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق

2-و أن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق.

(وَنَسِيَ)ابتداء (خَلْقَهُ)

فسر هذا المثل بقوله :-(قَالَ)ذلك الإنسان

(مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)البالية المتفتتة-أى: هل أحد يحييها؟

استفهام إنكار أى: لا أحد يحييها بعد ما بليت و تلاشت.

هذا وجه الشبهة و المثل و هو أن هذا أمر فى غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر

و هذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه و نسيان لابتداء خلقه

فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا لم يضرب هذا المثل78

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف فقال:-

(قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ)و هذا بمجرد تصوره يعلم به علما يقينا لا شبهة فيه

أن الذى أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثانى مرة و هو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور

(وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)هذا أيضا دليل ثـــــــان من صفات اللّه تعالى:-

وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته فى جميع أحوالها فى جميع الأوقات

و يعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات و ما يبقى

و يعلم الغيب والشهادة

فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم علم أنه أعظم و أجل من إحياء اللّه الموتى من قبورهم.

*البخارى2077 -عن حُذَيْفَةَ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-
تَلَقَّتِ(استقبلت عند الموت لتقبضها) الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا؟
قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا (من الإمهال)وَ يَتَجَاوَزُوا(يتسامحوا في الاقتضاء والاستيفاء)عَنِ المُوسِرِ قَالَ:قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:وَ قَالَ أَبُو مَالِكٍ عَنْ رِبْعِيٍّ: -كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى المُوسِرِ وَ أُنْظِرُ المُعْسِرَ79

*ثم ذكر دليلا ثالثا:–(ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ)
*الْمُرَادُ بِذَلِكَ سَرْحِ الْمَرْخِ و العَفَار يَنْبُتُ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ فَيَأْتِي مَنْ أَرَادَ قَدْحَ نَارٍ وَ لَيْسَ مَعَهُ زِنَادٌ
فَيَأْخُذُ مِنْهُ عُودَيْنِ أَخْضَرَيْنِ وَ يَقْدَحُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ فَتَتَوَلَّدُ النَّارُ مِنْ بَيْنِهِمَا كَالزِّنَادِ سَوَاءً.
*فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر الذي هو فى غاية الرطوبة مع تضادهما و شدة تخالفهما
فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك80

*ثم ذكر دليلا رابعا فقال: –(أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ)على سعتهما و عظمهما
(بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ)أن يعيدهم بأعيانهم .
*يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي خلق السموات السَّبْعِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَالثَّوَابِتِ
وَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَ مَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَ رِمَالٍ وَ بِحَارٍ وَ قِفَارٍ وَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَ مُرْشِدًا إِلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَى إِعَادَةِ
الْأَجْسَادِ بِخَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ العظيمة كقوله تعالى:-{لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غَافِرٍ: 57]
(بَلَىٰ)قادر على ذلك فإن خلق السماوات و الأرض أكبر من خلق الناس.

(وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ)و هذا دليل خامس:–
فإنه تعالى الخلاق الذي جميع المخلوقات متقدمها و متأخرها صغيرها و كبيرها كلها أثر من آثار خلقه و قدرته
و أنه لا يستعصى عليه مخلوق أراد خلقه. فإعادته للأموات فرد من أفراد آثار خلقه81
و لهذا قال:–(إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا)نكرة فى سياق الشرط فتعم كل شيء.
(أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)فى الحال من غير تمانع–لا يحتاج الى تكرار82

(فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ)
كَقَوْلِهِ {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}[الْمُؤْمِنُونَ: 88]وَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الْمُلْكِ: 1]
فَالْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ وَاحِدٌ فِي الْمَعْنَى كَرَحْمَةٍ ورَحَمُوت ورَهْبَة ورَهَبُوت وجَبْر وجَبَرُوت.
*و هذا دليل سادس:–
فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء الذي جميع ما سكن في العالم العلوي و السفلي ملك له و عبيد
مسخرون و مدبرون يتصرف فيهم بـــ:–

أقداره الحكمية و أحكامه الشرعية و أحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم لينفذ فيهم حكم الجزاء من تمام ملكه

و لهذا قال:(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)من غير امتراء و لا شك لتواتر البراهين القاطعة و الأدلة الساطعة على ذلك.

فتبارك الذى جعل في كلامه الهدى و الشفاء و النور83

37-سورة الصافات-بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾
رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾
وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾
دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴿١٠﴾
فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾
وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾
أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾
فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾
هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾
مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

37–تفسير سورة الصافات–مكية

*النسائى826 –عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ:-«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالتَّخْفِيفِ وَ يَؤُمُّنَا بِالصَّافَّاتِ»
هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام فى حال عبادتها و تدبيرها ما تدبره بإذن ربها على ألوهيته تعالى و ربوبيته

وحدانية الله و قدرته و حفظ السماء من الشياطين1-10

فقال:(وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا)صفوفا فى خدمة ربهم و هم الملائكة 1

(فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا)هم الملائكة يزجرون السحاب و غيره بأمر اللّه 2

(فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا)الْمَلَائِكَةُ يتلون كلام اللّه تعالى–الْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بِالْكِتَابِ وَالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ.
وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا 5 عُذْرًا أَوْ نُذْرًا} [الْمُرْسَلَات]
*مسلم(522) عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ:-
جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَ جُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَ جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ
*مسلم(430)عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»
فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ وَ كَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟قَالَ:يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَ يَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ 3
*فلما كانوا متألهين لربهم و متعبدين في خدمته و لا يعصونه طرفة عين أقسم بهم على ألوهيته

فقال:(إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ)ليس له شريك في الإلهية فأخلصوا له الحب و الخوف و الرجاء و سائر أنواع العبادة 4

(رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ)

هو الخالق لهذه المخلوقات و الرازق لها المدبر لها فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها فكذلك لا شريك له في ألوهيته

*و كثيرا ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية لأنه دال عليه.

*و قد أقر به أيضا المشركون فى العبادة فيلزمهم بما أقروا به على ما أنكروه.

*هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ بِتَسْخِيرِهِ بِمَا فِيهِ مِنْ كَوَاكِبَ ثَوَابِتَ وَ سَيَّارَاتٍ تَبْدُو مِنَ الْمَشْرِقِ وَ تَغْرُبُ مِنَ الْمَغْرِبِ.

وَ اكْتَفَى بِذِكْرِ الْمَشَارِقِ عَنِ الْمَغَارِبِ لِدَلَالَتِهَا عَلَيْهِ.

وَ قَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:-{فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} [الْمَعَارِج:40] .

وَ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:-{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرَّحْمَن:17] يَعْنِي فِي الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ لِلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ.

*و خص اللّه المشـــــارق بالذكـــــــر لــــــــ:-

1-دلالتهــــــا على المغارب

2-أو لأنهـــــا مشـــــارق النجـــــــوم التى سيذكرها 5

ذكر اللّه فى الكواكب هاتين الفائدتيـــــن العظيمتيـــن:-

إحداهمـــــــا:-(إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا)كونها زينة للسماء إذ لولاها لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها

(بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ)و لكـــــن زينهــــا فيهــــا لـــــــ:-

1-تستنير أرجاؤها و تحسن صورتها

2-و يهتدى بها في ظلمات البر والبحر

3-و يحصل فيها من المصالح ما يحصل.

*قُرِئَ بِالْإِضَافَةِ وَ بِالْبَدَلِ وَ كِلَاهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ فَالْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ وَ الثَّوَابِتُ يَثْقُبُ ضَوْءُهَا جِرْمَ السَّمَاءِ الشَّفَّافَ فَتُضِيءُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ

كَمَا قَالَ:-{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الْمُلْك:5] وَ قَالَ:-{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ16وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ17إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} الْحِجْر 6

و الثانيـــــــة:(وَحِفْظًا)تَقْدِيرُهُ: وَ حَفِظْنَاهَا حِفْظًا

(مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ)المتمرد العاتى

*حراسة السماء عن كل شيطان مارد يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى و هم الملائكة 7

(لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ)يُرْمَوْنَ–فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب

(مِن كُلِّ جَانِبٖ)مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَقْصِدُونَ السَّمَاءَ مِنْهَا 8

(دُحُورٗاۖ)طردا لهم وإبعادا عن استماع ما يقول الملأ الأعلى.

*كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:-

{حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَنۡ قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ}[سَبَإ:23]

(وَلَهُمۡ عَذَابٞ)فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ(وَاصِبٌ)دَائِمٌ مُوجِعٌ مُسْتَمِرٌّ كَمَا قَالَ:{وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ}[الْمُلْك:5]

*معد لتمردهم عن طاعة ربهم 9

و لولا أنه تعالى استثنى لكان ذلك دليلا على أنهم لا يستمعون شيئا أصلا و لكن قال

(إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ)

تلقف من الشياطين المردة الكلمة الواحدة يسمعها مِنَ السَّمَاءِ على وجه الخفية و السرقة

(فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ)المضيء

أولا:–تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه فينقطع خبر السماء

ثانيا:–و تارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب

*فَيُلْقِيهَا إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ وَ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى الَّذِى تَحْتَهُ فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا
و رُبَّمَا أَلْقَاهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الشِّهَابُ فَيُحْرِقَهُ فَيَذْهَبُ بِهَا الْآخَرُ إِلَى الْكَاهِنِ فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء.

*الترمذى:-3324 -عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ:-كَانَ الجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الوَحْىَ
فَإِذَا سَمِعُوا الكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا فَأَمَّا الكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا وَأَمَّا مَا زَادُوهُ فَيَكُونُ بَاطِلًا
فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ وَ لَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ
فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّى
بَيْنَ جَبَلَيْنِ أُرَاهُ قَالَ:-بِمَكَّةَ فَلَقُوهُ فَأَخْبَرُوهُ 10

*و لما بين هذه المخلوقات العظيمة قال:–(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ)اسأل منكرى خلقهم بعد موتهم.

انكار المشركين للبعث
و جزاؤهم 11-39

(أَهُمۡ)إيجادهم بعد موتهم

(أَشَدُّ)و أشق؟

(خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ)من هذه المخلوقات؟

فلا بد أن يقروا أن خلق السماوات و الأرض أكبر من خلق الناس فيلزمهم إذا الإقرار بالبعث بل لو رجعوا إلى أنفسهم و فكروا فيها لعلموا

(إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ)هُوَ الْجَيِّدُ الَّذِى يَلْتَزِقُ بعضه ببعض-هُوَ اللَّزِجُ-هُوَ الَّذِى يَلْزَقُ بِالْيَدِ.

أن ابتداء خلقهم من طين لازب أصعب عند الفكر من إنشائهم بعد موتهم

*أى:قوى شديد كقوله تعالى:-(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)

*كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غَافِر:57]

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُمْ خُلقوا مِنْ شَىْءٍ ضَعِيفٍ 11

(بَلْ عَجِبْتَ)

يا أيها الرسول و أيها الإنسان من تكذيب من كذب بالبعث بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة

و هو حقيقة محل عجب و استغراب لأنه مما لا يقبل الإنكار

(و) أعجب من إنكارهم و أبلغ منه أنهم(وَيَسْخَرُونَ)ممن جاء بالخبر عن البعث

فلم يكفهم مجرد الإنكار حتى زادوا السخرية بالقول الحق12

(و)من العجب أيضا أنهم (وَإِذَا ذُكِّرُوا)ما يعرفون في فطرهم و عقولهم و فطنوا له و ألفت نظرهم إليه

(لَا يَذْكُرُونَ)يتدبَّرون ذلك

*فإن كان جهلا فهو من أدل الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة حيث ذكروا ما هو مستقر فى الفطر معلوم

بالعقل لا يقبل الإشكال و إن كان تجاهلا و عنادا فهو أعجب و أغرب 13

(وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً)معجزة دالّة على نبوّتك

(يَسْتَسْخِرُونَ)يسخرون منها و يعجبون

و من العجب أيضا قولهم للحق لما جاءهم:-

(وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)فجعلوا أعلى الأشياء و أجلها و هو الحق فى رتبة أخس الأشياء و أحقرها 15

و مـــــن العجـــــــب أيضــــــا:-

قياسهم قدرة رب الأرض و السماوات على قدرة الآدمى الناقص من جميع الوجوه

فقالـــــــوا استبعـــــــادا و إنكـــــــارا-

(أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ17)

و لما كان هذا منتهى ما عندهم و غاية ما لديهم أمر اللّه رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم

فقال:-(قُلْ نَعَمْ)ستبعثون أنتم و آباؤكم الأولون

(وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ)ذليلون صاغرون حَقِيرُونَ تَحْتَ الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ لا تمتنعون و لا تستعصون على قدرة اللّٰه

كما قَالَ {وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ} [النَّمْل:87] وَ قَالَ:-{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غَافِر:60] 18

(فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ)ينفخ إسرافيل فيها فى الصور

(فَإِذَا هُمْ)مبعوثون من قبورهم

(يَنظُرُونَ)كما ابتدئ خلقهم بعثوا بجميع أجزائهم حفاة عراة غرلا 19

و فـــــى تلـــــك الحــــــال:-يظهرون الندم و الخزى و الخسار و يدعون بالويل و الثبور.

(وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ)فقد أقروا بما كانوا في الدنيا به يستهزءون.

فيقال لهم عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَ التَّوْبِيخِ وَ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تُمَيِّزَ الْكُفَّارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوْقِفِ فِي مَحْشَرِهِمْ وَ مَنْشَرِهِمْ20

(هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ)بين العباد فيما بينهم و بين ربهم من الحقوق و فيما بينهم و بين غيرهم من الخلق.

إذا أحضروا يوم القيامة و عاينوا ما به يكذبون و رأوا ما به يستسخرون يؤمر بهم إلى النار و عذابها

(ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ)21

فيقال:-(ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)أنفسهم بالكفر و الشرك و المعاصى

(وَأَزْوَٰجَهُمْ)أمثالهم-إِخْوَانَهُمْ-أَشْبَاهَهُمْ الذين من جنس عملهم كل يضم إلى من يجانسه فى العمل

يَجِيءُ صَاحِبُ الرِّبَا مَعَ أَصْحَابِ الرِّبَا وَ صَاحِبُ الزِّنَا مَعَ أَصْحَابِ الزِّنَا وَ صَاحِبُ الْخَمْرِ مَعَ أَصْحَابِ الْخَمْرِ

(وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ)من الأصنام و الأنداد التى زعموها فاجمعوهم جميعا

(فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ)سوقوهم سوقا عنيفا إلى جهنم.

و بعد ما يتعين أمرهم إلى النار و يعرفون أنهم من أهل دار البوار

*وَ هَذَا كَقَوْلِهِ-{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الْإِسْرَاء:97] 23

يقال:-(وَقِفُوهُمْ)

قبل أن توصلوهم إلى جهنم احْبِسُوهُمْ حَتَّى يُسألوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَ أَقْوَالِهِمُ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا

(إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ)إِنَّهُمْ مُحَاسَبُونَ عما كانوا يفترونه فى الدنيا ليظهر على رءوس الأشهاد كذبهم و فضيحتهم24

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾
قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾
وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾
إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾
بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾
لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

فيقال لهم:(مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ)كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ أى: ما الذى جرى عليكم اليوم؟

و ما الذى طرقكم لا ينصر بعضكم بعضا و لا يغيث بعضكم بعضا بعدما كنتم تزعمون فى الدنيا أن آلهتكم ستدفع عنكم العذاب و تغيثكم و تشفع لكم عند اللّه

فكأنهم لا يجيبون هذا السؤال لأنهم قد علاهم الذل و الصغار و استسلموا لعذاب النار و خشعوا و خضعوا و أبلسوا فلم ينطقوا25

و لهذا قال:–(بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ)مُنْقَادُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا يُخَالِفُونَهُ وَ لَا يَحِيدُونَ عنه26

*لما جُمِعُوا هم و أزواجهم و آلهتهم وهدوا إلى صراط الجحيم و وقفوا فسئلوا فلم يجيبوا :–

(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)
الْكُفَّارَ يَتَلَاوَمُونَ بعضهم بعضا على إضلالهم و ضلالهم فى عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ كَمَا يَتَخَاصَمُونَ فِي دَرَكَاتِ النَّارِ

(يَتَسَاءَلُونَ)27

فـــ(قَالُوا)الأتباع للمتبوعين الرؤساء:

(إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ)بالقوة و الغلبة فتضلونا و لولا أنتم لكنا مؤمنين–مِنْ حَيْثُ نَأْمَنُكُمْ28

(قَالُواْ)لهم(بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ)

ما زلتم مشركين كما نحن مشركون فأى شيء فضلكم علينا؟ و أى شيء يوجب لومنا؟ 29

(وَ) الحال أنه(وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۢ)حجة على صحة ما دعوناكم اليه-قهر لكم على اختيار الكفر

(بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ)متجاوزين للحد

فَلِهَذَا اسْتَجَبْتُمْ لَنَا وَ تَرَكْتُمُ الْحَقَّ الَّذِى جَاءَتْكُمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَ أَقَامُوا لَكُمُ الْحُجَجَ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءُوكُمْ بِهِ فَخَالَفْتُمُوهُمْ30

(فَحَقَّ عَلَيۡنَا)نحن و إياكم

(قَوۡلُ رَبِّنَآۖ)العذاب–قدر ربنا و قضاؤه أنا و إياكم (إِنَّا لَذَآئِقُونَ)سنذوق العذاب و نشترك فى العقاب 31

(فَـ) لذلك (فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ)دعوناكم إلى طريقتنا التى نحن عليها و هى الغواية

(إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ)فاستجبتم لنا فلا تلومونا و لوموا أنفسكم32

قال تعالى: (فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ)يوم القيامة

(فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ)

و إن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم كما اشتركوا فى الدنيا على الكفر اشتركوا فى الآخرة بجزائه33

و لهذا قال:–(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ)ثم ذكر أن إجرامهم قد بلغ الغاية و جاوز النهاية 34

فقال:–(إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ)فِي الدَّارِ الدُّنْيَا

(إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ)فدعوا إليها و أمروا بترك إلهية ما سواه

(يَسۡتَكۡبِرُونَ)عنها و على من جاء بها–أَنْ يَقُولُوهَا كَمَا يَقُولُهَا الْمُؤْمِنُونَ35

(وَيَقُولُونَ)معارضة لها (أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا)التى لم نزل نعبدها نحن و آباؤنا

(لِـ) قول(لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ)يعنون محمدا ﷺ.

فلم يكفهم – قبَّحهم اللّه – الإعراض عنه و لا مجرد تكذيبه حتى حكموا عليه بأظلم الأحكام

و جعلوه شاعرا مجنونا و هم يعلمون أنه لا يعرف الشعر و الشعراء و لا وصفه وصفهم

و أنه أعقل خلق اللّه و أعظمهم رأيا36

و لهذا قال تعالى ناقضا لقولهم:-(بَلۡ جَآءَ)محمد

(بِٱلۡحَقِّ)مجيئه حق و ما جاء به من الشرع و الكتاب حق.

(وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)صَدَّقَهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَ الْمَنَاهِجِ السَّدِيدَةِ
وَ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ فِي شَرْعِهِ وَ قَدَرِهِ وَ أَمْرِهِ كَمَا أَخْبَرُوا{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}[فُصِّلَتْ:43]
أى:و مجيئه صدق المرسلين فلولا مجيئه و إرساله لم يكن الرسل صادقين فهو آية و معجزة لكل رسول قبله
لأنهم أخبروا به و بشروا و أخذ اللّه عليهم العهد و الميثاق لئن جاءهم ليؤمنن به و لينصرنه
و أخذوا ذلك على أممهم فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله و تبين كذب من خالفهم
فلو قدر عدم مجيئه و هم قد أخبروا به لكان ذلك قادحا فى صدقهم.
و صدق أيضا المرسلين بأن جاء بما جاءوا به و دعا إلى ما دعوا إليه و آمن بهم
و أخبر بصحة رسالتهم و نبوتهم و شرعهم37
و لما كان قولهم السابق:-(إِنَّا لَذَائِقُونَ) قولا صادرا منهم يحتمل أن يكون صدقا أو غيره أخبر تعالى بالقول
الفصل الذى لا يحتمل غير الصدق و اليقين و هو الخبر الصادر منه تعالى فقال:-

(إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ)المؤلم الموجع38

(وَمَا تُجۡزَوۡنَ)فى إذاقة العذاب الأليم

(إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)فلم نظلمكم و إنما عدلنا فيكم؟ 39

*و لما كان هذا الخطاب لفظه عاما و المراد به المشركون استثنى تعالى المؤمنين فقال:-

يقول تعالى:-(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ)
فإنهم غير ذائقى العذاب الأليم وَ لَا يُنَاقَشُونَ فِي الْحِسَابِ بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ إِنْ كَانَ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ
وَ يُجْزَوْنَ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ إِلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ مِنَ التَّضْعِيفِ

لأنهم أخلصوا للّه الأعمال فأخلصهم و اختصهم برحمته و جاد عليهم بلطفه40

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ)غير مجهول و إنما هو رزق عظيم جليل لا يجهل أمره و لا يبلغ كنهه41

فسره بقوله:-(فَوَٰكِهُۖ)من جميع أنواع الفواكه التى تتفكه بها النفس للذتها فى لونها و طعمها.

(وَهُم مُّكۡرَمُونَ)لا مهانون محتقرون بل معظمون مجلون موقرون.

قد أكرم بعضهم بعضا و أكرمتهم الملائكة الكرام و صاروا يدخلون عليهم من كل باب و يهنئونهم ببلوغ أهنأ الثواب وأكرمهم أكرم الأكرمين و جاد عليهم بأنواع الكرامات من نعيم القلوب و الأرواح و الأبدان42

(فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ)الجنات التى النعيم وصفها و السرور نعتها

و ذلك لما جمعته مما لا عين رأت و لا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر و سلمت من كل مخل بنعيمها من جميع المكدرات و المنغصات43

نعم أصحاب الجنة و تذكرهم
لقرين السوء 40-51

و من كرامتهم عند ربهم و إكرام بعضهم بعضا أنهم:-

(عَلَىٰ سُرُرٍ)هى المجالس المرتفعة المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة المزخرفة المجملة فهم متكئون عليها على وجه الراحة و الطمأنينة و الفرح.

(مُّتَقَٰبِلِينَ)لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ.

فيما بينهم قد صفت قلوبهم و محبتهم فيما بينهم و نعموا باجتماع بعضهم مع بعض

فإن مقابلة وجوههم تدل على تقابل قلوبهم و تأدب بعضهم مع بعض فلم يستدبره أو يجعله إلى جانبه

بل من كمال السرور و الأدب ما دل عليه ذلك التقابل44

(يُطَافُ عَلَيۡهِم)يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة

(بِكَأۡسٍ مِّن مَّعِينٍ)

بكؤوس خمر جميلة المنظر المترعة من الرحيق المختوم بالمسك من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها45

فإنهـا فى لونهـا(بَيۡضَآءَ)من أحسن الألوان و فى طعمهـــا (لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ)

طَعْمُهَا طَيِّبٌ كَلَوْنِهَا-وَ طِيبُ الطَّعْمِ دَلِيلٌ عَلَى طِيبِ الرِّيحِ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ

*يتلذذ شاربها بها وقت شربها و بعده و تلك الخمر تخالف خمر الدنيا من كل وجه 46

(لَا فِيهَا غَوۡلٌ)وجع البطن(وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ)و ليس فيها صداع و لا كدر

و أنها سالمة من غول العقل و ذهابه و نزفه و نزف مال صاحبها 47

*فلما ذكر طعامهم و شرابهم و مجالسهم و عموم النعيم و تفاصيله داخلة فى قوله:-(جَنَّاتِ النَّعِيمِ)

لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشتاق النفوس إليها ذكر أزواجهم فقال:-

(وَعِندَهُمۡ)و عند أهل دار النعيم فى محلاتهم القريبة حور حسان كاملات الأوصاف

(قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ)

1-إما أنها قصرت طرفها على زوجها لعفتها و عدم مجاوزته لغيره و لجمال زوجها و كماله بحيث لا تطلب

فى الجنة سواه و لا ترغب إلا به

2–و إما لأنها قصرت طرف زوجها عليها و ذلك يدل على كمالها و جمالها الفائق الذى أوجب لزوجها أن يقصر طرفه عليها

و قصر الطرف أيضا يدل على قصر النفس و المحبة عليها و كلا المعنيين محتمل و كلاهما صحيح و كل هذا يدل على جمال الرجال و النساء فى الجنة و محبة بعضهم بعضا محبة لا يطمح إلى غيره و شدة عفتهم كلهم و أنه لا حسد فيها و لا تباغض و لا تشاحن و ذلك لانتفاء أسبابه.

(عِينٌ)حسان الأعين جميلاتها ملاح الحدق–فَوَصَفَ عُيُونَهُنَّ بِالْحُسْنِ وَ الْعِفَّةِ48

(كَأَنَّهُنَّ)الحور(بَيْضٌ مَّكْنُونٌ)مستور لَمْ تَمَسَّهُ الْأَيْدِي

و ذلك من حسنهن و صفائهن و كون ألوانهن أحسن الألوان و أبهاها ليس فيه كدر 49

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ)

*وحذف المعمول و المقام مقام لذة و سرور فدل ذلك على أنهم يتساءلون بـــــــ:-

1-كل ما يلتذون بالتحدث به

2-و المسائل التى وقع فيها النزاع و الإشكال

*ومن المعلوم أن:-

لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم و البحث عنه فوق اللذات الجارية فى أحاديث الدنيا فلهم من هذا النوع النصيب الوافر

و يحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية فى الجنة ما لا يمكن التعبير عنه(٥٠)

*لما ذكر تعالى نعيمهم و تمام سرورهم بالمآكل و المشارب و الأزواج الحسان و المجالس الحسنة ذكر تذاكرهم فيما بينهم و مطارحتهم للأحاديث عن الأمور الماضية و أنهم ما زالوا فى المحادثة و التساؤل

حتى أفضى ذلك بهم إلى أن(قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ):–

(إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)

1–هُوَ الرَّجُلُ الْمُشْرِكُ يَكُونُ لَهُ صَاحِبٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا.

2–قرين فى الدنيا ينكر البعث و يلومنى على تصديقى به

3-شَيْطَانًا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي النَّفْسِ وَ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ فَيَقُولُ كَلَامًا تَسْمَعُهُ الْأُذُنَانِ وَكِلَاهُمَا مُتَعَادِيَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام:112]

وَ كُلٌّ مِنْهُمَا يُوَسْوِسُ

كقوله{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ 1 مَلِكِ النَّاسِ 2 إِلَهِ النَّاسِ 3 مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ 4 الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ 5مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ 6}[النَّاس](٥١)

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

قول منكر البعث فى الدنيا و نهايته 52-55

و (يَقُولُ)لك

(أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ)أَأَنْتَتُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ وَ النُّشُورِ وَ الْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ؟!

يَعْنِي: يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ وَ التَّكْذِيبِ وَ الِاسْتِبْعَادِ وَ الْكُفْرِ وَ الْعِنَادِ52

(أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ)مجازون بأعمالنا؟

أى:كيف تصدق بهذا الأمر البعيد الذي فى غاية الاستغراب و هو أننا إذا تمزقنا فصرنا ترابا و عظاما أننا نبعث و نعاد ثم نحاسب و نجازى بأعمالنا؟.

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه:–هذه قصتى و هذا خبرى أنا و قريبى ما زلت أنا مؤمنا مصدقا و هو ما زال مكذبا منكرا للبعث حتى متنا ثم بعثنا فوصلت أنا إلى ما ترون من النعيم الذى أخبرتنا به الرسل و هو لا شك أنه قد وصل إلى العذاب53

فـــــــــ(قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ)مُشْرِفُونَ... يَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ وَ جُلَسَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

*لننظر إليه فنزداد غبطة و سرورا بما نحن فيه و يكون ذلك رَأْىَ عين؟

و الظاهر من حال أهل الجنة وسرور بعضهم ببعض و موافقة بعضهم بعضا أنهم أجابوه لما قال و ذهبوا تبعا له للاطلاع على قرينه54

(فَٱطَّلَعَ)فرأى قرينه

(فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ)في وسط

(ٱلۡجَحِيمِ)العذاب و غمراته و العذاب قد أحاط به55

فـــــــ(قَالَ)له لائما على حاله و شاكرا للّه على نعمته أن نجاه من كيده:–

(تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ)تهلكني بسبب ما أدخلت عليَّ من الشُّبَه بزعمك56

(وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي)على أن ثبتني على الإسلام

(لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ)في العذاب معك.

*وَ لَكِنَّهُ تَفَضَّلَ عَلَيَّ وَرَحِمَنِي فَهَدَانِي لِلْإِيمَانِ وَ أَرْشَدَنِي إِلَى تَوْحِيدِهِ{وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}[الأعراف:43]57

(أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ)

أي:يقوله المؤمن مبتهجا بنعمة اللّه على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها و السلامة من العذاب استفهام بمعنى الإثبات و التقرير أي:–يقول لقرينه المعذب:–

أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموتة الأولى و لا بعث بعدها و لا عذاب 59

فلما ذكر تعالى نعيم الجنة و وصفه بهذه الأوصاف الجميلة مدحه و شوَّق العاملين و حثَّهم على العمل فقال:–

(إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ)

الذى حصل لهم به كل خير وكل ما تهوى النفوس و تشتهى و اندفع عنهم به كل محذور و مكروه فهل فوز يطلب فوقه؟

أم هو غاية الغايات و نهاية النهايات حيث حل عليهم رضا رب الأرض و السماوات و فرحوا بقربه وتنعموا بمعرفته واستروا برؤيته و طربوا لكلامه؟ 60

(لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ)هَذَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس والحسرة كل الحسرة أن يمضي على الحازم وقت من أوقاته و هو غير مشتغل بالعمل الذي يقرب لهذه الدار

فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار؟ 61

شجرة الزقوم للظالمين و سبب عقابهم62-74

(أَذَٰلِكَ)النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة

(خَيۡرٞ نُّزُلًا)ضيافة و عطاء من الله

*أم العذاب الذى يكون فى الجحيم من جميع أصناف العذاب؟

فأي الطعامين أولى؟الذى وصف في الجنة (أَمۡ)طعام أهل النار؟

و هو (شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ)وَ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ51لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ}[الْوَاقِعَةِ] 62

(إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ)عذابا و نكالا–اخْتِبَارًا تَخْتَبِرُ بِهِ النَّاسَ مَنْ يُصَدِّقُ مِنْهُمْ مِمَّنْ يُكَذِّبُ

* كَقَوْلِهِ{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَانًا كَبِيرًا [الْإِسْرَاءِ:60]

(لِّلظَّٰلِمِينَ)أنفسهم بالكفر و المعاصى.

*قَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَتْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ فافتتن بها أهل الضلالة وَ قَالُوا: صَاحِبُكُمْ يُنْبِئُكُمْ أَنَّ فِي النَّارِ شَجَرَةً وَ النَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:-{إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} 63

(إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ)وسط (ٱلۡجَحِيمِ)

فهذا مخرجها و معدنها أشر المعادن و أسوؤها و شر المغرس يدل على شر الغراس و خسته 64

و لهذا نبهنا اللّه على شرها بما ذكر أين تنبت به و بما ذكر من :–(طَلۡعُهَا)صفة ثمرتها

(كَأَنَّهُۥ)و أنها كـــــــــ(رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ)

فلا تسأل بعد هذا عن طعمها و ما تفعل فى أجوافهم و بطونهم و ليس لهم عنها مندوحة و لا معدل65

و لهذا قال:(فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ)فهذا طعام أهل النار فبئس الطعام طعامهم

*ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَبْشَعَ مِنْهَا
وَ لَا أَقْبَحَ مِنْ مَنْظَرِهَا مَعَ مَا هِىَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الطَّعْمِ وَ الرِّيحِ وَ الطَّبْعِ فَإِنَّهُمْ لَيَضْطَرُّونَ إِلَى الْأَكْلِ مِنْهَا لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ إِلَّا إِيَّاهَا و مَا فِي مَعْنَاهَا

كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ 6 لَا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}[الْغَاشِيَةِ] 66

*ثم ذكر شرابهم فقال:–(ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا)على أثر هذا الطعام

(لَشَوۡبٗا)لخلطا–مزجا(مِّنۡ حَمِيمٖ)ماء حارا قد تناهى حره

*شرب الحميم على الزقوم-يَمْزُجُ لَهُمُ الْحَمِيمَ بِصَدِيدٍ وَ غَسَّاقٍ مِمَّا يَسِيلُ مِنْ فُرُوجِهِمْ وَ عُيُونِهِمْ.

كما قال تعالى:(وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا

و كما قال تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)67

(ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ)مآلهم و مقرهم و مأواهم

(لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ)ليذوقوا من عذابه الشديد و حره العظيم ما ليس عليه مزيد من الشقاء.

*ثُمَّ إِنَّ مَرَدَّهُمْ بَعْدَ هَذَا الْفَصْلِ لَإِلَى نَارٍ تَتَأَجَّجُ وَ جَحِيمٍ تَتَوَقَّدُ وَ سَعِيرٍ تَتَوَهَّجُ فَتَارَةً فِي هَذَا وَ تَارَةً فِي هَذَا

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرَّحْمَن:44] 68

*و كأنه قيل:—ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟

فقال: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا)وجدوا

(ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ)يسرعون في الضلال

فلم يلتفتوا إلى ما دعتهم إليه الرسل و لا إلى ما حذرتهم عنه الكتب و لا إلى أقوال الناصحين

بل عارضوهم بأن قالوا:—(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)70

(وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ)أي: قبل هؤلاء المخاطبين

(أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ)و قليل منهم آمن و اهتدى71

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ)ينذرونهم عن غيهم و ضلالهم72

(فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ)

كانت عاقبتهم الهلاك و الخزى و الفضيحة فليحذر هؤلاء أن يستمروا على ضلالهم فيصيبهم مثل ما

أصابهم73

*و لما كان المنذرون ليسوا كلهم ضالين بل منهم من آمن و أخلص الدين للّه استثناه اللّه من الهلاك

فقال:(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)

الذين أخلصهم اللّه و خصهم برحمته لإخلاصهم فإن عواقبهم صارت حميدة74

*ثم ذكر أنموذجا من عواقب الأمم المكذبين فقال:—

(وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

يخبر تعالى عن عبده و رسوله نوح عليه السلام أول الرسل أنه لما دعا قومه إلى اللّه تلك المدة الطويلة

فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا أنه نادى ربه فقال: (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) الآية.

و قال:(رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ)فاستجاب اللّه له و مدح تعالى نفسه فقال:—

(فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ)لدعاء الداعين و سماع تبتلهم و تضرعهم أجابه إجابة طابق ما سأل75

قصة نوح 75-82

(وَنَجَّيْنَٰهُ)نجاه

(وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)وَ هُوَ التَّكْذِيبُ وَ الْأَذَى76

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾

أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾

فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾

فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾

رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ

قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ

سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

(وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ)

و أغرق جميع الكافرين و أبقى نسله و ذريته متسلسلين-لَمْ تَبْقَ إِلَّا ذُرِّيَّةُ نُوحٍ عليه السلام فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام77

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ)و جعل له ثناء حسنا مستمرا إلى وقت الآخرين

و ذلك لأنه محسن فى عبادة الخالق محسن إلى الخلق و هذه سنته تعالى فى المحسنين أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم78

(سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ)

مُفَسِّرٌ لِمَا أَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ أَنَّهُ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الطَّوَائِفِ وَ الْأُمَمِ79

{إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ}

هَكَذَا نَجْزِى مَنْ أَحْسَنَ مِنَ الْعِبَادِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ نَجْعَلُ لَهُ لسانَ صدْق يُذْكَرُ بِهِ بَعْدَهُ بِحَسَبِ مَرْتَبَتِهِ فِي ذَلِكَ80

و دل قوله: (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

أن الإيمان أرفع منازل العباد و أنه مشتمل على جميع شرائع الدين و أصوله و فروعه لأن اللّٰه مدح به خواص خلقه الْمُصَدِّقِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُوقِنِينَ81

(ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ)

أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَمْ تبْق مِنْهُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ وَلَا ذِكْرَ لَهُمْ و لَا عَيْنَ و لَا أَثَرَ و لَا يُعَرَفُونَ إِلَّا بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْقَبِيحَةِ82

(وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ)

أشياع نوح على منهاجه و ملَّته و طريقته فى النبوة و الرسالة و دعوة الخلق إلى اللّٰه و إجابة الدعاء

(لَإِبۡرَٰهِيمَ)نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام83

قصة ابراهيم 83-113

(إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ)

يَعْنِي شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ-سَلِيمٌ مِنَ الشِّرْكِ و الشبه و الشهوات المانعة من تصور الحق و العمل به

*و إذا كان قلب العبد سليما سلم من كل شر و حصل له كل خير

*و من سلامته أنه سليم من غش الخلق و حسدهم و غير ذلك من مساوئ الأخلاق84

و لهذا نصح الخلق فى اللّه و بدأ بأبيه و قومه فقال:-

(إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ)هذا استفهام بمعنى الإنكار و إلزام لهم بالحجة85

(أَئِفۡكًا)كذبا

(ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ)أتعبدون من دونه آلهة ليست بآلهة و لا تصلح للعبادة86

(فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)أن يفعل بكم و قد عبدتم معه غيره؟

و هذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.

و ما الذى ظننتم برب العالمين من النقص حتى جعلتم له أندادا و شركاء.

فأراد عليه السلام أن يكسر أصنامهم و يتمكن من ذلك فانتهز الفرصة فى حين غفلة منهم لما ذهبوا إلى عيد من أعيادهم فخرج معهم87

(فَنَظَرَ)إبراهيم(نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ)

على عادة قومه في ذلك- متفكرًا فيما يعتذر به عن الخروج معهم إلى أعيادهم(٨٨)

(فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ)ضَعيفٌ

في الحديث الصحيح:-لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات:-

1–قوله إِنِّي سَقِيمٌ

2–و قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا

3–و قوله عن زوجته :إنها أختى»

*وَ لَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْكَذِبِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يُذَمُّ فَاعِلُهُ حَاشَا وَ كَلَّا وَ إِنَّمَا أُطْلِقَ الْكَذِبُ على هذا تَجَوُّزًا وَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْمَعَارِيضِ فِي الْكَلَامِ لِمَقْصِدٍ شَرْعِيٍّ دِينِيٍّ89

*و القصد أنه تخلف عنهم ليتم له الكيد بآلهتهم. (فَـ) لهذا(فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ)إِلَى عِيدِهِمْ90

*فلما وجد الفرصة.(فَرَاغَ)أسرع على وجه الخفية و المراوغة(إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ)

(فَقَالَ)متهكما بها

(أَلَا تَأْكُلُونَ)وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ وَضَعُوا بَيْنَ أَيْدِيهَا طَعَامًا قُرْبَانًا لتُبرك لَهُمْ فِيهِ91

(مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ)فكيف يليق أن تعبد و هى أنقص من الحيوانات التى تأكل أو تكلم؟

فهذه جماد لا تأكل و لا تكلم92

(فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ)جعل يضربها بقوته و نشاطه حتى جعلها جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون93

(فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ)يسرعون و يهرعون أى:يريدون أن يوقعوا به بعدما بحثوا (ليس معناه يمشون بتمهل كزفاف العروس)

و قالوا: (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ)و قيل لهم(سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)

يقول: (تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)

فوبخوه و لاموه فقال:–(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ

* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ) 94

و (قَالَ) هنا:(أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ)ــــه بأيديكم وتصنعونه؟

فكيف تعبدونهم و أنتم الذين صنعتموهم و تتركون الإخلاص للّه؟ 95

(وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)

أولا:-يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ "مَا" مَصْدَرِيَّةٌ فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ)

ثانيا:-وَ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى "الَّذِى" تَقْدِيرُهُ:(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَالَّذِى تَعْمَلُونَهُ)

وَ كِلَا الْقَوْلَيْنِ متلازم و الأول أظهر لما رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ(117)عَنْ حُذَيْفَةَ مَرْفُوعًا قَالَ:-

"إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَ صَنْعَتَهُ" 96

*فَعِنْدَ ذَلِكَ لَمَّا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ عَدَلُوا إِلَى أَخْذِهِ بِالْيَدِ وَ الْقَهْرِ:-

فــــ(قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا)عاليا مرتفعا و أوقدوا فيها النار

انقلاب النار بردا و سلاما

(فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ)جزاء على ما فعل من تكسير آلهتهم97

(فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا)ليقتلوه أشنع قتلة

(فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ)رد اللّه كيدهم في نحورهم و جعل النار على إبراهيم بردا و سلاما98

(وَ) لما فعلوا فيه هذا الفعل وأقام عليهم الحجة وأعذر منهم

(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي)مهاجر إليه قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشام.

(سَيَهْدِينِ)يدلنى إلى ما فيه الخير لى من أمر دينى و دنياى

و قال فى الآية الأخرى:(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)99

تبشيره باسماعيل و ذبحه و التبشير باسحاق99-113

(رَبِّ هَبْ لِي)ولدا يكون

(مِنَ الصَّالِحِينَ)

و ذلك عند ما أيس من قومه ولم ير فيهم خيرا دعا اللّه أن يهب له غلاما صالحا ينفع اللّه به في حياته وبعد مماته100

فاستجاب اللّه له وقال: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)

و هذا إسماعيل عليه السلام بلا شك فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق و لأن اللّه تعالى قال في بشراه بإسحاق

(فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)[هود:71]

*يُولَدُ لَهُ فِي حَيَاتِهِمَا وَلَدٌ يُسَمَّى يَعْقُوبُ فَيَكُونُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عَقِبٌ وَ نَسْلٌ.
وَقَدْ قَدَّمْنَا هُنَاكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بَعْدَ هَذَا أَنْ يُؤْمَرَ بِذَبْحِهِ وَ هُوَ صَغِيرٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَهُمَا بِأَنَّهُ سَيُعْقَبُ وَيَكُونُ لَهُ نَسَلٌ فَكَيْفَ يُمْكِنُ بَعْدَ هَذَا أَنْ يُؤْمَرَ بِذَبْحِهِ صَغِيراً وَ إِسْمَاعِيلُ وُصِفَ هَاهُنَا بِالْحَلِيمِ لِأَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِهَذَا الْمَقَامِ.
*فدل على أن إسحاق غير الذبيح و وصف اللّه إسماعيل عليه السلام بالحلم و هو يتضمن الصبر و حسن الخلق

و سعة الصدر و العفو عمن جنى101

(فَلَمَّا بَلَغَ)الغلام

(مَعَهُ السَّعْيَ)

أدرك أن يسعى معه و بلغ سنا يكون فى الغالب أحب ما يكون لوالديه قد ذهبت مشقته و أقبلت منفعته

فــــــــ(قَالَ)له إبراهيم عليه السلام: –

(يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ)

أى: قد رأيت في النوم و الرؤيا أن اللّه يأمرنى بذبحك و رؤيا الأنبياء وحى

(فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ)فإن أمر اللّه تعالى لا بد من تنفيذه

*وَ إِنَّمَا أَعْلَمُ ابْنَهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وَ لِيَخْتَبِرَ صَبْرَهُ وَ جَلَدَهُ وَ عَزْمَهُ مِنْ صِغَرِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ طَاعَةِ أَبِيهِ.

(قَالَ)إسماعيل صابرا محتسبا مرضيا لربه و بارا بوالده:–

(يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ)امض لما أمرك اللّه

(سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ)أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر

و قرن ذلك بمشيئة اللّه تعالى لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة اللّه تعالى.

*وَ لِهَذَا قَالَ{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا54 وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مَرْيَم]102

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾

وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾

وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾

وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾

أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

(فَلَمَّآ أَسۡلَمَا)إبراهيم و ابنه إسماعيل جازما بقتل ابنه و ثمرة فؤاده امتثالا لأمر ربه و خوفا من عقابه و الابن قد وطَّن نفسه على الصبر و هانت عليه فى طاعة ربه و رضا والده

(وَتَلَّهُۥ)ألقى إبراهيم ابنه (لِلۡجَبِينِ)
على جبينه-و هو جانب الجبهة- على الأرض ليذبحه قد انكب لوجهه لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه.

(وَنَٰدَيۡنَٰهُ)في تلك الحال المزعجة و الأمر المدهش:-

(أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ)
قد فعلت ما أمرت به فإنك وطَّنت نفسك على ذلك و فعلت كل سبب و لم يبق إلا إمرار السكين على حلقه

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ)فى عبادتنا المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم.
*هَكَذَا نَصْرِفُ عَمَّنْ أَطَاعَنَا الْمَكَارِهَ وَ الشَّدَائِدَ وَ نَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرَجًا وَ مَخْرَجًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-
{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا 2 وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطَّلَاقِ] 105

(إِنَّ هَٰذَا)الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام

(لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ)الواضح الذي تبين به صفاء إبراهيم و كمال محبته لربه و خلته

فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه اللّه لإبراهيم أحبه حبا شديدا و هو خليل الرحمن و الخلة أعلى أنواع المحبة و هو منصب لا يقبل المشاركة و يقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب

*لما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل أراد تعالى أن يصفي وُدَّه و يختبر خلته :-

فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه

فلما قدّم حب اللّه و آثره على هواه و عزم على ذبحه و زال ما في القلب من المزاحم بقى الذبح لا فائدة فيه فلهذا قال:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾

صار بدله ذبح من الغنم عظيم ذبحه إبراهيم فكان عظيما من جهة أنه كان فداء لإسماعيل و من جهة أنه من جملة العبادات الجليلة و من جهة أنه كان قربانا و سنة إلى يوم القيامة107

﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ ﴾و أبقينا عليه ثناء صادقا

﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾كما كان فى الأولين فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام فإنه فيه محبوب معظم مثنى عليه108

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾تحيته عليه كقوله﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾109

﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

فى عبادة اللّه و معاملة خلقه أن نفرج عنهم الشدائد و نجعل لهم العاقبة و الثناء الحسن110

﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾بما أمر اللّه بالإيمان به الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين كما قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾111

﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا﴾

هذه البشارة الثانية بإسحاق الذي من ورائه يعقوب فبشر بوجوده و بقائه و وجود ذريته و كونه نبيا

﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾فهى بشارات متعددة112

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ ﴾أنزلنا عليهما البركة التى هى:-النمـــــو و الزيـــــادة فـــــى ﴿علمهما و عملهما و ذريتهما ﴾

فنشر اللّه من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة:-

1-أمة العــــــرب من ذرية إسماعيل

2-و أمة بني إسرائيــــــل

3-و أمة الــــــروم من ذرية إسحاق.

* كَقَوْلِهِ{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[هُود:48]

(وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ)

منهم الصالح و الطالح و العادل و الظالم الذي تبين ظلمه بكفره و شركه

و لعل هذا من باب دفع الإيهام فإنه لما قال:-(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ)اقتضى ذلك البركة فى ذريتهما

و أن من تمام البركة أن تكون الذرية كلهم محسنين

فأخبر اللّه تعالى أن منهم محسنا و ظالما و اللّه أعلم113

قصة موسى و هارون 114-122

(وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) (114 – 122) إلى آخر القصة.

يذكر تعالى مِنَّتهُ على عبديه و رسوليه موسى و هارون ابنى عمران بـــــ:

النبـــــوة و الرســـــالة و الدعـــــوة إلى اللّه تعالى

(وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)نجاتهما و قومهما من عدوهما فرعون115

(وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ)و نصرهما عليه حتى أغرقه اللّه و هم ينظرون116

(وَءَاتَيْنَٰهُمَا)إنزال اللّه عليهما

(ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ)التوراة التي فيها الأحكام و المواعظ و تفصيل كل شىء

*كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً}[الأَنْبِيَاء:48]117

(وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ)فى الاقوال و الافعال

*و أن اللّه هداهما الصراط المستقيم بـــــأن:-

1-شـــــرع لهما دينا ذا أحكام و شرائع مستقيمة موصلة إلى اللّه

2-و مَـــــنَّ عليهما بسلوكه118

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ)أبقى عليهما ثناء حسنا119

(سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ)تحية فى الآخرين و من باب أولى و أحرى فى الأولين120

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)122

قصة الياس 123-132

(وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)هو ادريس عليه السلام

*يمدح تعالى عبده و رسوله إلياس عليه السلام بالنبوة و الرسالة و الدعوة إلى اللّه123

(إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ)و أنه أمر قومه بالتقوى124

(أَتَدْعُونَ بَعْلًا)و عبادة اللّه وحده و نهاهم عن عبادتهم صنما لهم يقال له « بعل »

(وَتَذَرُونَ)و تركهم عبادة اللّه

(أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ)الذى خلق الخلق و أحسن خلقهم125

(ٱللَّهَ رَبَّكُمْ)الذى خلقكم

(وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ)و خلق آباءكم الماضين قبلكم؟

الذى رباهم فأحسن تربيتهم و أدرَّ عليهم النعم الظاهرة و الباطنة

و أنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه إلى عبادة صنم لا يضر و لا ينفع و لا يخلق و لا يرزق بل لا يأكل و لا يتكلم؟

و هل هذا إلا من أعظم الضلال و السفه و الغى126

....

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾

سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾

فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾

فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾

فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾

أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾

وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

(فَكَذَّبُوهُ)فيما دعاهم إليه فلم ينقادوا له قال اللّه متوعدا لهم:-

(فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)يوم القيامة فى العذاب و لم يذكر لهم عقوبة دنيوية127

(إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ)الذين أخلصهم اللّه و منَّ عليهم باتباع نبيهم فإنهم غير محضرين في العذاب و إنما لهم من اللّه جزيل الثواب128

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ)على إلياس

(فِي الْآخِرِينَ)ثناء حسنا129

(سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ)تحية من اللّه و من عباده عليه- كَمَا يُقَالُ فِي إِسْمَاعِيلَ:-إِسْمَاعِينُ-آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ130

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)

فأثنى اللّه عليه كما أثنى على إخوانه صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين.

*تقدم تفسيره الايات 80(-81) و (110-111) من السورة الكريمة132

(وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ)

و هذا ثناء منه تعالى على عبده و رسوله لوط بالنبوة و الرسالة و دعوته إلى اللّه قومه و نهيهم عن الشرك

قصة لوط 133-138

و فعل الفاحشة. فلما لم ينتهوا نجاه اللّه و أهله أجمعين فسروا ليلا فنجو134

(إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ)الباقين المعذبين و هى زوجة لوط لم تكن على دينه135

(ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ)بأن قلبنا عليهم ديارهم فـــــــ(جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ)

حتى همدوا و خمدوا.

*فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَ جَعَلَ مَحِلَّتَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ بُحَيْرَةً مُنْتِنَةً قَبِيحَةَ الْمَنْظَرِ وَ الطَّعْمِ وَ الرِّيحِ وَ جَعَلَهَا بِسَبِيلٍ مُقِيمٍ يَمُرُّ بِهَا الْمُسَافِرُونَ لَيْلًا وَ نَهَارًا136

و لهذا قال:- (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم)على ديار قوم لوط

(مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ)فى هذه الأوقات يكثر ترددكم إليها و مروركم بها فلم تقبل الشك و المرية

(أَفَلَا تَعْقِلُونَ)الآيات و العبر و تنزجرون عما يوجب الهلاك؟138

قصة يونس 139-148

(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

*قَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّةُ يُونُسَ عليه السلام فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:-مَا يَنْبَغِى لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ متَّى(البخارى 3416)

*و نَسَبَه إِلَى أُمِّهِ" وَ فِي رِوَايَةٍ قِيلَ: "إِلَى أَبِيهِ139

و هذا ثناء منه تعالى على عبده و رسوله يونس بن متى كما أثنى على إخوانه المرسلين بالنبوة و الرسالة

و الدعوة إلى اللّه و ذكر تعالى عنه أنه عاقبه عقوبة دنيوية أنجاه منها بسبب إيمانه و أعماله الصالحة فقال:–

(إِذْ أَبَقَ)لجأ(إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ)المملوء بالركاب و الأمتعة

فلما ركب مع غيره و الفلك شاحن ثقلت السفينة فاحتاجوا إلى إلقاء بعض الركبان و كأنهم لم يجدوا لأحد مزية فى ذلك

*فلقد ذهب من ربه مغاضبا له ظانا أنه لا يقدر عليه و يحبسه فى بطن الحوت

و لم يذكر اللّه ما غاضب عليه و لا ذنبه الذي ارتكبه لعدم فائدتنا بذكره

و إنما فائدتنا بما ذُكِّرنا عنه أنه أذنب و عاقبه اللّه مع كونه من الرسل الكرام و أنه نجاه بعد ذلك و أزال عنه الملام و قيض له ما هو سبب صلاحه140

(فَسَاهَمَ)قارع(ليس معناها من المساهمة أى المشاركة)

*فاقترعوا على أن من قرع و غلب ألقِىَ في البحر عدلا من أهل السفينة و إذا أراد اللّه أمرا هيأ أسبابه.

فلما اقترعوا أصابت القرعة يونس

(فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ)المغلوبين.

وَ ذَلِكَ أَنَّ السَّفِينَةَ تَلَعَّبَت بِهَا الْأَمْوَاجُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَ أَشْرَفُوا عَلَى الْغَرَقِ فَسَاهَمُوا عَلَى مَنْ تَقَعُ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ يُلْقَى فِي الْبَحْرِ لِتَخِفَّ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ ﵇ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَ هُمْ يَضِنُّونَ بِهِ أَنْ يُلْقَى مِنْ بَيْنِهِمْ فَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ لِيُلْقِيَ نَفْسَهُ وَ هُمْ يَأْبَوْنَ عَلَيْهِ ذَلِكَ 141

*فألقى فى البحر (فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ)وقت التقامه

(مُلِيمٌ)فاعل ما يلام عليه و هو مغاضبته لربه 142

(فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ)لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي الرَّخَاءِ

فى وقته السابق بكثرة عبادته لربه و تسبيحه و تحميده و فى بطن الحوت حيث قال:-

(لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[الأنبياء: 87] 143

(لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

لكانت مقبرته و لكن بسبب تسبيحه و عبادته للّه نجاه اللّه تعالى و كذلك ينجى اللّه المؤمنين عند وقوعهم فى الشدائد 144

(فَنَبَذْنَٰهُ)ألقيناه بأن قذفه الحوت من بطنه

(بِٱلْعَرَآءِ)هى الأرض الخالية العارية من كل أحد بل ربما كانت عارية من الأشجار و الظلال.

(وَهُوَ سَقِيمٌ)قد سقم و مرض بسبب حبسه فى بطن الحوت حتى صار مثل الفرخ الممعوط من البيض 145

(وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ)القرع تظله بظلها الظليل لأنها بادرة باردة الظلال

و لا يسقط عليها ذباب و هذا من لطفه به و بره.

*ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَرْعِ فَوَائِدَ مِنْهَا:-

1-سُرْعَـــةُ نَبَاتِهِ

2-و تظليــلُ وَرَقِهِ لِكِبَرِهِ وَ نُعُومَتِهِ

3-وَ أَنَّهُ لَا يَقْرَبُهَا الذُّبَــابُ

4-وَ جَــوْدَةُ أَغْذِيَةِ ثَمَرِهِ

5-وَ أَنَّهُ يُؤْكَلُ نَيِّئًــا وَ مَطْبُوخًــا بِلُبِّهِ وَ قِشْرِهِ أَيْضًا.

وَ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ يُحِبّ الدُّبَّاءَوَ يَتَتَبَّعُهُ مِنْ حَوَاشى الصَّحْفَة

*البخارى2092 - عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ ﵁يَقُولُ:إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺلِطَعَامٍ صَنَعَهُ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺخُبْزًا وَ مَرَقًا (كل طعام طبخ بماء)فِيهِ دُبَّاءٌ (القرع واليقطين)وَ قَدِيدٌ(لحم مجفف)فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺيَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَى(جوانب(الْقَصْعَةِ»قَالَ:

فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ146

*ثم لطف به لطفا آخر و امْتَنَّ عليه مِنّة عظمى و هى (وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ)من الناس

(أَوۡ)بل

(يَزِيدُونَ)عنها و المعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا فدعاهم إلى اللّه تعالى147

(فَـَٔامَنُواْ)فصاروا في موازينه لأنه الداعي لهم.

(فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ)بأن صرف اللّه عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه قال تعالى:

(فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)[يونس:98]148

*يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَعْلِهِمْ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُون أَىْ: مِنَ الذُّكُورِ
أَيْ: يَوَدّون لِأَنْفُسِهِمْ الْجَيِّدَ. {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النَّحْل:58]
أَيْ: يَسُوءُهُ ذَلِكَ وَ لَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلَّا الْبَنِينَ. يَقُولُ تَعَالَى: -فَكَيْفَ نَسَبُوا إِلَى اللهِ

مناقشة المشركين فى عقائدهم و تهديدهم 149-182

*يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ)سَلْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ
أي: اسأل المشركين باللّه غيره الذين عبدوا الملائكة
و زعموا أنها بنات اللّه فجمعوا بين الشرك باللّه و وصفه بما لا يليق بجلاله

(أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ)

هذه قسمة ضيزى و قول جائر من جهة جعلهم الولد للّه تعالى

و من جهة جعلهم أردأ القسمين و أخسهما له و هو البنات التى لا يرضونهن لأنفسهم كما قال فى الآية:–

(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) قَوْلِهِ:{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى*تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النَّجْم:21 22]149

*و من جهة جعلهم الملائكة بنات اللّه و حكمهم بذلك قال تعالى فى بيان كذبهم:–

(أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ)خلقهم؟

أى:ليس الأمر كذلك فإنهم ما شهدوا خلقهم فدل على أنهم قالوا هذا القول بلا علم بل افتراء على اللّه

* قَوْلِهِ:{وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزُّخْرُف:19]

أَىْ: يُسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ150

*و لهذا قال: (أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ)كذبهم الواضح

(لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ)صَدَرَ مِنْهُ الْوَلَدُ

(وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ 152)

(أَصۡطَفَى)اختار (ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ)

* كَقَوْلِهِ:{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا} [الْإِسْرَاءِ:40] 153

وَ لِهَذَا قَالَ:

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾
وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾
وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾
لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾
وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)هذا الحكم الجائر154

(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)و تميزون هذا القول الباطل الجائر فإنكم لو تذكرتم لم تقولوا هذا القول155

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ)أي حجة ظاهرة على قولكم من كتاب أو رسول و كل هذا غير واقع156

و لهذا قال (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

فإن من يقول قولا لا يقيم عليه حجة شرعية فإنه كاذب متعمد أو قائل على اللّه بلا علم157

(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ)جعل هؤلاء المشركون باللّه بين اللّه

(وَبَيْنَ الْجِنَّةِ)الْمَلَائِكَة لِاجْتِنَانِهِمْ عَنْ الْأَبْصَار

(نَسَبًا)حيث زعموا أن الملائكة بنات اللّه وأن أمهاتهم سروات الجن

(و)الحال أن (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)

بين يدى اللّه ليجازيهم عبادا أذلاء فلو كان بينهم و بينه نسب لم يكونوا كذلك158

(سُبْحَانَ اللَّهِ)الملك العظيم الكامل الحليم

(عَمَّا يَصِفُونَ)يصفه به المشركون من كل وصف أوجبه كفرهم و شركهم159

(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)وَ هُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِلْحَقِّ الْمُنَزَّلِ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ وَ مُرْسَلٍ

*فإنه لم ينزه نفسه عما وصفوه به لأنهم لم يصفوه إلا بما يليق بجلاله و بذلك كانوا مخلصين160

(فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ)إنكم أيها المشركون و من عبدتموه مع اللّه161

(مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ)لا تقدرون أن تفتنوا و تضلوا أحد162

(إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ)

من قضى اللّه أنه من أهل الجحيم فينفذ فيه القضاء الإلهى إِنَّمَا يَضِلُّ بِهِ مَنْ هُوَ مَأْفُوكٌ وَ مُبْطِلٌ

*مَا يَنْقَادُ لِمَقَالِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَ الْعِبَادَةِ الْبَاطِلَةِ مَنْ هُوَ أَضَلُّ مِنْكُمْ مِمَّنْ ذُرِى لِلنَّارِ.

{لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الْأَعْرَاف:179]

فَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ هُوَ الَّذِي يَنْقَادُ لِدِينِ الشِّرْكِ وَ الْكُفْرِ وَ الضَّلَالَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ} [الذَّارِيَات:8 9]

و المقصـــــود مـــــن هـــــذا:-

1-بيان عجزهم و عجز آلهتهم عن إضلال أحد

2-و بيان كمال قـــــدرة اللّه تعالى

أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد اللّه المخلصين و حزبه المفلحين163

*ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنزها لِلْمَلَائِكَةِ مِمَّا نَسَبوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِمْ وَ الْكَذِبِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ

(وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)لَهُ مَوْضِعٌ مَخْصُوصٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ وَ لَا يَتَعَدَّاهُ

*هذا فيه بيان براءة الملائكة عليهم السلام عما قاله فيهم المشركون و أنهم عباد اللّه لا يعصونه طرفة عين

فما منهم من أحد إلا له مقام و تدبير قد أمره اللّه به لا يتعداه و لا يتجاوزه و ليس لهم من الأمر شئ164

(وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ)نَقِفُ صُفوفًا فِي الطَّاعَةِ و الخدمة كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا}

* مسلم

(522) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ:-

1-جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ

2-وَ جُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا

3-وَ جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ165

(وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ)للّه عما لا يليق به فكيف – مع هذا – يصلحون أن يكونوا شركاء للّه؟!تعالى اللّه.

*الْمُصَلُّونَ يَثْبُتُونَ بِمَكَانِهِمْ مِنَ الْعِبَادَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}

[الأَنْبِيَاء:26-29] 166

(وَإِن كَانُوا۟)يخبر تعالى أن هؤلاء المشركين يظهرون التمني

(لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِندَنَا)لو جاءنا(ذِكْرًا) كتب (مِّنَ)مثل ما جاء(ٱلْأَوَّلِينَ) 168

(لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)لأخلصنا للّه العبادة بل لكنا المخلصين على الحقيقة.

و هم كَذَبَة في ذلك فقد جاءهم أفضل الكتب فكفروا به فعلم أنهم متمردون على الحق

*كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا} [فَاطِر:42]

وَ قَالَ:{أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ 156 أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ} [الأَنْعَام] 169

(فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)العذاب حين يقع بهم و لا يحسبوا أيضا أنهم في الدنيا غالبون170

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ)

بل قد سبقت كلمة اللّه التي لا مرد لها و لا مخالف لها لعباده المرسلين و جنده المفلحين

*تَقَدَّمَ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلرُّسُلِ وَ أَتْبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الْمُجَادَلَة:21]

وَ قَالَ تَعَالَى:{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ} [غَافِر:51] 171

وَ لِهَذَا قَالَ:- (إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ)فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ نُصْرَتِهِمْ عَلَى قَوْمِهِمْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ وَ خَالَفَهُمْ وَ كَيْفَ أَهْلَكَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ وَ نَجَّى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ 172

(وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ)تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ المنصورون من ربهم نصرا عزيزا يتمكنون فيه من إقامة دينهم

*و هذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند اللّه بأن كانت أحواله مستقيمة و قاتل من أمر بقتالهم أنه غالب منصور 173

(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ)

ثم أمر رسوله بالإعراض عمن عاندوا و لم يقبلوا الحق و أنه ما بقي إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب

*اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ لَكَ وَ انْتَظِرْ إِلَى وَقْتٍ مُؤَجَّلٍ فَإِنَّا سَنَجْعَلُ لَكَ الْعَاقِبَةَ وَ النُّصْرَةَ وَ الظَّفَرَ

وَ لِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: نسأ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ بَدْرٍ. وَ مَا بَعْدَهَا أَيْضًا فِي مَعْنَاهَا174

و لهذا قال:-(وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ)من يحل به النكال فإنه سيحل بهم175

(أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ)هُمْ إِنَّمَا يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ لِتَكْذِيبِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ

وَ يُعَجِّلُ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ وَ مَعَ هَذَا أَيْضًا كَانُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَ عِنَادِهِمْ يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ وَ الْعُقُوبَةَ176

(فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ)نزل عليهم و قريبا منهم

(فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ)فَبِئْسَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ وَ دَمَارِهِمْ لأنه صباح الشر و العقوبة و الاستئصال.

*البخارى371-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ:-فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلاَةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ
فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَ رَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ وَ أَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ
وَ إِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ
فَلَمَّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ قَالَ:-

اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}[الصافات: 177] قَالَهَا ثَلاَثًا177

*ثم كرر الأمر بالتولى عنهم و تهديدهم بوقوع العذاب

(وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ۝١٧٨ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ۝١٧٩)

و لما ذكر فى هذه السورة كثيرا من أقوالهم الشنيعة التى وصفوه بها نزه نفسه عنها

فقال:(سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ)تنزه و تعالى

(رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ)الذى عز فقهر كل شيء و اعتز (عَمَّا يَصِفُونَ)عن كل سوء يصفونه به180

(وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ)لسلامتهم من الذنوب و الآفات و سلامة ما وصفوا به فاطر الأرض و السماوات181

(وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)الألف و اللام للاستغراق

فجميع أنواع الحمد من الصفات الكاملة العظيمة و الأفعال التى ربى بها العالمين

و أدرَّ عليهم فيها النعم و صرف عنهم بها النقم و دبرهم تعالى في حركاتهم و سكونهم

و فى جميع أحوالهم كلها للّه تعالى فهو المقدس عن النقص المحمود بكل كمال المحبوب المعظم و رسله

سالمون مسلم عليهم و من اتبعهم فى ذلك له السلامة فى الدنيا و الآخرة.

و أعداؤه لهم الهلاك و العطب فى الدنيا و الآخرة.

*لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَ الْآخِرَةِ فِي كُلِّ حَالٍ.

*وَ لَمَّا كَانَ التَّسْبِيحُ يَتَضَمَّنُ التَّنْزِيهَ وَ التَّبْرِئَةَ مِنَ النَّقْصِ بِدَلَالَةِ الْمُطَابَقَةِ وَ يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ الْكَمَالِ

كَمَا أَنَّ الْحَمْدَ يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ مُطَابَقَةً وَ يَسْتَلْزِمُ التَّنْزِيهَ مِنَ النَّقْصِ -قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَ لِهَذَا قَالَ:

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

*وَ قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ:-

*أبي داود 4857 -عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ:

كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ

وَ لَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَ مَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ:-

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَ أَتُوبُ إِلَيْكَ (182)

[حكم الألباني] : صحيح دون قوله (ثلاث مرات)

38-سورة ص-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾

هذا بيان من اللّه تعالى لحال القرآنو حال المكذبين به معه و مع من جاء به فقال:-

(صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ)القدر العظيم و الشرف المُذَكِّرِ للعباد كل ما يحتاجون إليه:-

طبيعة المشركين و الرد عليهم1-11

من العلم بأسماء اللّه و صفاته و أفعاله و من العلم بأحكام اللّه الشرعية

و من العلم بأحكام المعاد و الجزاء فهو مذكر لهم فى أصول دينهم و فروعه.

و هنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه فإن حقيقة الأمر أن المقسم به و عليه شيء واحد

و هو هذا القرآن الموصوف بهذا الوصف الجليل فإذا كان القرآن بهذا الوصف علم ضرورة العباد إليه فوق كل ضرورة و كان الواجب عليهم تَلَقِّيه بالإيمان و التصديق و الإقبال على استخراج ما يتذكر به منه.

فهدى اللّه من هدى لهذا و أبى الكافرون الإيمان به و بمن أنزله و صار معهم 1

(بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ)و امتناع عن الإيمان به و استكبار

(وَشِقَاقٖ)مشاقة و مخاصمة فى رده و إبطاله و فى القدح بمن جاء به 2

و لكن توعدهم فقال (كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ)أمة مكذبة للرسل

(فَنَادَواْ)اسْتَغَاثُوا وَ جَأَرُوا إِلَى اللَّهِ حِينَ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ لِيصرفه الله عنهم وَ لَيْسَ ذَلِكَ بِمُجْدٍ عَنْهُمْ شَيْئًا.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ}[الْأَنْبِيَاءِ: 12]أَيْ: يَهْرَبُونَ

{لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 13]

(وَّلَاتَ)

هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَ هِيَ "لَاتَ" هِيَ "لَا" الَّتِي لِلنَّفْيِ زِيدَتْ مَعَهَا "التَّاءُ" كَمَا تُزَادُ فِي "ثُمَّ" فَيَقُولُونَ: "ثُمَّتْ"

(حِينَ مَنَاصٍ)

ليس الوقت وقت خلاص مما وقعوا فيه و لا فرج لما أصابهم فَلْيَحْذَرْ هؤلاء أن يدوموا على عزتهم و شقاقهم فيصيبهم ما أصابهم 3

(وَعَجِبُوٓاْ)عجب هؤلاء المكذبون في أمر ليس محل عجب

(أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ)ليتمكنوا من التلقى عنه و ليعرفوه حق المعرفة

و لأنه من قومهم فلا تأخذهم النخوة القومية عن اتباعه

فهذا مما يوجب الشكر عليهم و تمام الانقياد له. و لكنهم عكسوا القضية فتعجبوا تعجب إنكار

(وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ)من كفرهم و ظلمهم:-

(هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ) 4

و ذنبه – عندهم– أنه

(أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ)كيف ينهى عن اتخاذ الشركاء و الأنداد و يأمر بإخلاص العبادة للّه وحده.

(إِنَّ هَٰذَا)الذى جاء به

(لَشَيۡءٌ عُجَابٞ)يقضى منه العجب لبطلانه و فساده 5

(وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ)المقبول قولهم محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك.

(أَنِ ٱمۡشُواْ)استمروا عليها

(وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ)

جاهدوا نفوسكم في الصبر عليها و على عبادتها و لا يردكم عنها راد و لا يصدنكم عن عبادتها صاد.

(إِنَّ هَٰذَا)الذي جاء به محمد من النهى عن عبادتها

(لَشَيۡءٞ يُرَادُ)يقصد أى: له قصد و نية غير صالحة فى ذلك

و هذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق لا يرد قوله بالقدح فى نيته فنيته و عمله له

و إنما يرد بمقابلته بما يبطله و يفسده من الحجج و البراهين و هم قصدهم أن محمدا ما دعاكم إلى ما دعاكم إلا ليرأس فيكم و يكون معظما عندكم متبوعا. 6

(مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا)القول الذى قاله و الدين الذى دعا إليه

(فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ)

فى الوقت الأخير فلا أدركنا عليه آباءنا و لا آباؤنا أدركوا آباءهم عليه فامضوا على الذى مضى عليه آباؤكم فإنه الحق

*يَعْنُونَ دِينَ قُرَيْشٍ-النَّصْرَانِيَّةَ قَالُوا: لَوْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ حَقًّا أَخْبَرَتْنَا بِهِ النَّصَارَى.

(إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ)ما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه و كذب افتراه

*و هذه أيضا شبهة من جنس شبهتهم الأولى حيث ردوا الحق بما ليس بحجة لرد أدنى قول و هو أنه قول مخالف لما عليه آباؤهم الضالون فأين في هذا ما يدل على بطلانه؟ 7

(أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ)

ما الذى فضله علينا حتى ينزل الذكر عليه من دوننا و يخصه اللّه به؟

و هذه أيضا شبهة أين البرهان فيها على رد ما قاله؟

و هل جميع الرسل إلا بهذا الوصف يَمُنُّ اللّه عليهم برسالته و يأمرهم بدعوة الخلق إلى اللّه

*أَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ تَخْصِيصَهُ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ كُلِّهِمْ كَمَا قَالُوا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:-

{لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزُّخْرُفِ: 31]

قَالَ اللَّهُ{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}[الزُّخْرُفِ: 32]

وَ لِهَذَا لَمَّا قَالُوا هَذَا الَّذِى دَلَّ عَلَى جَهْلِهِمْ وَ قِلَّةِ عَقْلِهِمْ فِي اسْتِبْعَادِهِمْ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ بَيْنِهِمْ

*و لهذا لما كانت هذه الأقوال الصادرة منهم لا يصلح شيء منها لرد ما جاء به الرسول أخبر تعالى من أين صدرت و أنهم(بَلۡ هُمۡ فِي شَكٍّ)ريب

(مِّن ذِكۡرِيۚ)وحيي إليك -أيها الرسول- و إرسالى لك –ليس عندهم علم و لا بينة.

فلما وقعوا في الشك و ارتضوا به و جاءهم الحق الواضح و كانوا جازمين بإقامتهم على شكهم

قالوا ما قالوا من تلك الأقوال لدفع الحق لا عن بينة من أمرهم

و إنما ذلك من باب الائتفاك منهم.

*و من المعلوم أن من هو بهذه الصفة يتكلم عن شك و عناد إن قوله غير مقبول و لا قادح أدنى قدح في الحق و أنه يتوجه عليه الذم و اللوم بمجرد كلامه

و لهذا توعدهم بالعذاب فقال: (بَل)قالوا ذلك

(لَّمَّا)لأنهم لم (يَذُوقُواْ عَذَابِ)الله فلو ذاقوا عذابه لما تجرؤوا على ما قالوا 8

(أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ)الَّذِى لَا يُرَامُ جَنَابُهُ

(ٱلۡوَهَّابِ)الَّذِى يُعْطِى مَا يُرِيدُ لِمَنْ يُرِيدُ-وَ هَذِهِ الْآيَةُ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ:-

{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا}[النِّسَاء: 53: 55]

وَ قَوْلُهُ {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا}[الْإِسْرَاء: 10]

وَ ذَلِكَ بَعْدَ الْحِكَايَةِ عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا بِعْثَةَ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ وَ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ صَالِحٍ عليه السلام حِينَ قَالُوا: -{أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ} [القمر: 25: 26]

*فيعطون منها من شاءوا و يمنعون منها من شاءوا 9 حيث قالوا:–

(أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ)هذا فضله تعالى و رحمته و ليس ذلك بأيديهم حتى يتحجروا على اللّه.

(أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ)بحيث يكونون قادرين على ما يريدون.

(فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ)

الموصلة لهم إلى السماء فيقطعوا الرحمة عن رسول اللّه فكيف يتكلمون و هم أعجز خلق اللّه و أضعفهم بما تكلموا به؟!

أم قصدهم التحزب و التجند و التعاون على نصر الباطل و خذلان الحق؟ 10

و هو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهمبل سعيهم خائبو جندهم مهزوم و لهذا قال:–

هؤلاء الــ(جُندٞ)المكذّبون الَّذِينَ هُمْ فِي عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ (مَّا هُنَالِكَ)هم جند

(مَهۡزُومٞ)ـــون كما هُزم غيرهم (مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ)قبلهم

وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ: {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}

وَ كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}[الْقَمَرِ: 44: 46] .

يحذرهم تعالى أن يفعل بهم ما فعل بالأمم من قبلهم الذين كانوا أعظم قوة منهم و تحزبا على الباطل 11

تكذيب الأمم السابقة 12-16

(كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ)قوم هود

(وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ)الجنود العظيمة و القوة الهائلة12

(وَثَمُودُ)قوم صالح

(وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ)الأشجار و البساتين الملتفة و هم قوم شعيب

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ)الذين اجتمعوا بقوتهم و عَدَدِهِمْ و عُدَدِهِمْ على رد الحق فلم تغن عنهم شيئا13

(إِن كُلٌّ)من هؤلاء

(إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ)عليهم

(عِقَابِ)اللّه و هؤلاء ما الذي يطهرهم و يزكيهم أن لا يصيبهم ما أصاب أولئك14

(وَمَا يَنظُرُ)فلينتظر

(هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ)من رجوع و رد تهلكهم و تستأصلهم إن أقاموا على ما هم عليه.

*عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَيْ لَيْسَ لَهَا مَثْنَوِيَّةٌ
وَ هَذِهِ الصَّيْحَةُ هِيَ نَفْخَةُ الْفَزَعِ الَّتِي يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يُطَوِّلَهَا فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فَزِعَ إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ15

(وَقَالُواْ)أى هؤلاء المكذبون من جهلهم و معاندتهم الحق مستعجلين للعذاب

(رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا)قسطنا و ما قسم لنا من العذاب عاجلا—الْقِطُّ هُوَ(الْكِتَابُ-وَ قِيلَ: هُوَ الْحَظُّ وَ النَّصِيبُ)

كَمَا قَالُوا:-{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال: 32]
وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: -سَأَلُوا تَعْجِيلَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا

(قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)القيامة و كان هذا استهزاءً منهم16

*و لَجُوا فى هذا القول و زعموا أنك يا محمد إن كنت صادقا فعلامة صدقك أن تأتينا بالعذاب فقال لرسوله:

ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

(ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ)كما صبر مَنْ قبلك من الرسل

فإن قولهم لا يضر الحق شيئا و لا يضرونك في شيء و إنما يضرون أنفسهم.

*لما أمر اللّه رسوله بالصبر على قومه أمره أن يستعين على الصبر بالعبادة للّه وحده و يتذكر حال العابدين كما قال في الآية الأخرى:-(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)

(وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ)و من أعظم العابدين نبي اللّه داود ﷺ

(ذَا ٱلۡأَيۡدِ)القوة العظيمة على عبادة اللّٰه تعالى فى بدنه و قلبه و فى الْعِلْم

**الْأَيْدُ:الْقُوَّةُ و قَرَأَ ابْنُ زَيْد:-{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذَّارِيَات: 47]

*البخارى1976 -عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ:-أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ:-

وَ اللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَ لَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي

قَالَ: «فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَ أَفْطِرْ وَ قُمْ وَ نَمْ وَ صُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَ ذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ» قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ

قَالَ:«فَصُمْ يَوْمًا وَ أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ»قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ

قَالَ:«فَصُمْ يَوْمًا وَ أَفْطِرْ يَوْمًا فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ ﷺ وَ هُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ» فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ؟ «لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»

(إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)رجَّاع إلى اللّه في جميع الأمور بالإنابة إليه بالحب و التأله و الخوف و الرجاء و كثرة التضرع

و الدعاء

*رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل بالإقلاع و التوبة النصوح 17

و من شدة إنابته لربه و عبادته (إِنَّا سَخَّرْنَا)اللّه سخر(ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ) تسبح معه بحمد ربها

(بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ)أول النهار و آخره 18

(و) سخر(وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ)معه مجموعة–محبوسة فى الهواء

(كُلّٞ)من الجبال و الطير لله تعالى

(لَّهُۥٓ أَوَّابٞ)مُطِيعٌ يُسَبِّحُ تَبَعًا لَهُ امتثالا لقوله تعالى:(يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ)[سبأ:10]

فهذه مِنَّةُ اللّه عليه بالعبادة.

*كَذَلِكَ كَانَتِ الطَّيْرُ تُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ وَ تُرَجِّعُ بِتَرْجِيعِهِ إِذَا مَرَّ بِهِ الطَّيْرُ وَ هُوَ سَابِحٌ فِي الْهَوَاءِ فَسَمِعَهُ وَ هُوَ يَتَرَنَّمُ بِقِرَاءَةِ الزَّبُورِ لَا تَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ بَلْ تَقِفُ فى الْهَوَاءِ وَ تُسَبِّحُ مَعَهُ وَ تُجِيبُهُ الْجِبَالُ الشَّامِخَاتُ تُرَجِّعُ مَعَهُ وَ تُسَبِّحُ تَبَعًا لَهُ 19

*ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال:–

(وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ)قويناه بما أعطيناه من الأسباب و كثرة الْعَدَد و الْعُدَدِ التى بها قوَّى اللّه ملكه

*ثم ذكر منته عليه بالعلم فقال:–

(وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ)النبوة و العلم العظيم

(وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ)الخصومات بين الناس.

*لما ذكر تعالى أنه آتى نبيه داود الفصل فى الخطاب بين الناس و كان معروفا بذلك مقصودا ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده فى قضية جعلهما اللّه فتنة لداود و موعظة لخلل ارتكبه فتاب اللّه عليه و غفر له و قيض له هذه القضية 20

فقال لنبيه محمد ﷺ: (وَهَلۡ أَتَىٰكَ)يا محمد (نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ)فإنه نبأ عجيب

(إِذۡ تَسَوَّرُواْ)على داود

(ٱلۡمِحۡرَابَ)محل عبادته 21

(إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ)من غير إذن و لا استئذان و لم يدخلوا عليه مع باب

(فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ)و خاف فـــــــــ(قَالُواْ) له:–

(لَا تَخَفۡۖ)نحن(خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ)بالظلم

(فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ)بالعدل و لا تمل مع أحدنا

(وَلَا تُشۡطِطۡ)و لا تَجُرْ علينا فى الحكم

(وَٱهۡدِنَآ)أرشِدنا (إِلَىٰ)

(سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ)

و المقصـــــــود من هـــــــذا:–

أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف و إذا كان ذلك فسيقصان عليه نبأهما بالحق

فلم يشمئز نبي الله داودعليه السلام من وعظهما له و لم يؤنبهما22

فقال أحدهما:-(إِنَّ هَٰذَآ أَخِي)

نص على الأخوة فى الدين أو النسب أو الصداقة لاقتضائها عدم البغى و أن بغيه الصادر منه أعظم من غيره.

(لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ)زوجة و ذلك خير كثير يوجب عليه القناعة بما آتاه اللّه.

(وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ)فطمع فيها

(فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا)دعها لي و خلها فى كفالتى.

(وَعَزَّنِي)غلبنى (فِي ٱلۡخِطَابِ)القول فلم يزل بى حتى أدركها أو كاد.

فقال داود – لما سمع كلامه –و من المعلوم من السياق السابق من كلامهما أن هذا هو الواقع

فلهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر فلا وجه للاعتراض بقول القائل:–

لم حكم داود قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر ؟23

(قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ)و هذه عادة الخلطاء و القرناء الكثير منهم

فقال:–(وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ)الشركاء

(لَيَبۡغِي)ليتعدى

(بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ)لأن الظلم من صفة النفوس.

(إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)فإن ما معهم من الإيمان و العمل الصالح يمنعهم من الظلم.

(وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ)كما قال تعالى(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

(وَظَنَّ دَاوُۥدُ)حين حكم بينهما

(أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ)اختبرناه و دبرنا عليه هذه القضية ليتنبه

(فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ)لما صدر منه

(وَخَرَّ رَاكِعًا)ساجدا–وَ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ رَكَعَ أَوَّلًا ثُمَّ سَجدَ بَعْدَ ذٰلِكَ

(وَأَنَابَ)للّه تعالى بالتوبة النصوح و العبادة24

(فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ)الذى صدر منه و أكرمه اللّه بأنواع الكرامات–مَا كَانَ مِنْهُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ:–

إِنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.

*لبخارى1069-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:" ص" لَيْسَ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ (المأمور بهاو العزائم جمع عزيمة وهي ما أكد الشارع على فعله)وَ قَدْ «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺيَسْجُدُ فِيهَا»

*النسائى957-عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ﵁أَنَّ النَّبِيَّ ﷺسَجَدَ فِي " ص"وَ قَالَ:-«سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً وَ نَسْجُدُهَا شُكْرًا»

*البخارى4807-عَنِ العَوَّامِ قَالَ: سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ سَجْدَةٍ فِي " ص" فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: - مِنْ أَيْنَ سَجَدْتَ؟ فَقَالَ: أَوَمَا تَقْرَأُ: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ}. {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[الأنعام: 90] «فَكَانَ دَاوُدُ مِمَّنْ أُمِرَ نَبِيُّكُمْ ﷺأَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ فَسَجَدَهَا دَاوُدُ ﵇ فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»{عُجَابٌ}[ص: 5]:- "عَجِيبٌ". القِطُّ: الصَّحِيفَةُ هُوَ هَا هُنَا صَحِيفَةُ الحِسَابِ "

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: {فِي عِزَّةٍ} [ص: 2]:-«مُعَازِّينَ»

{المِلَّةِ الآخِرَةِ} [ص: 7]:"مِلَّةُ قُرَيْشٍ الِاخْتِلاَقُ:- الكَذِبُ "

{الأَسْبَابُ} [البقرة: 166]: «طُرُقُ السَّمَاءِ فِي أَبْوَابِهَا»

قَوْلُهُ: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ} [ص: 11]: «يَعْنِي قُرَيْشًا»

{أُولَئِكَ الأَحْزَابُ} [ص: 13]:- «القُرُونُ المَاضِيَةُ»

{فَوَاقٍ} [ص: 15]: «رُجُوعٍ»

{قِطَّنَا} [ص: 16]: «عَذَابَنَا»

(اتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا):-«أَحَطْنَا بِهِمْ»

{أَتْرَابٌ} [ص: 52]: «أَمْثَالٌ»

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {الأَيْدُ} [ص: 17]:-«القُوَّةُ فِي العِبَادَةِ»

{الأَبْصَارُ} [ص: 45]: «البَصَرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ»

{حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} [ص: 32]: «مِنْ ذِكْرٍ»

{طَفِقَ مَسْحًا}: «يَمْسَحُ أَعْرَافَ الخَيْلِ وَ عَرَاقِيبَهَا»

{الأَصْفَادِ} [إبراهيم: 49]: «الوَثَاقِ»

فقال:-(وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ)منزلة عالية و قربة منا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا

(وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ)مرجع وَ هُوَ الدَّرَجَاتُ الْعَالِيَاتُ فِي الْجَنَّةِ لِتَوْبَتِهِ وَ عَدْلِهِ التَّامِّ فِي مُلْكِهِ

كما في الحديث

مسلم (1827) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: وَ أَبُو بَكْرٍ:- يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَ فِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ:قَالَ:-
قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ:-إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ
الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَ مَا وَلُوا

*و هذا الذنب الذي صدر من داود ﷺ لم يذكره اللّه لعدم الحاجة إلى ذكره فالتعرض له من باب التكلف
و إنما الفائدة ما قصه اللّه علينا من لطفه به و توبته و إنابته و أنه ارتفع محله فكان بعد التوبة أحسن منه
قبلها25

(يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ)تنفذ فيها القضايا الدينية و الدنيوية

(فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ)

العــــــدل و هذا لا يتمكن منه إلا :–

1–بعلم بالواجب

2–و علم بالواقع

3–و قدرة على تنفيذ الحق

(وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ)فتميل مع أحد لقرابة أو صداقة أو محبة أو بغض للآخر

(فَيُضِلَّكَ)الهوى

(عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ)و يخرجك عن الصراط المستقيم

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)خصوصا المتعمدين منهم

(لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ)بغفلتهم عن يوم الجزاء و الحساب.

*فلو ذكروه و وقع خوفه في قلوبهم لم يميلوا مع الهوى الفاتن.

*هَذِهِ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِوُلَاةِ الْأُمُورِ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى
وَ لَا يَعْدِلُوا عَنْهُ فَيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ وَ قَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ تَنَاسَى يَوْمَ الْحِسَابِ
بِالْوَعِيدِ الْأَكِيدِ وَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ26

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

(وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ)يخبر تعالى عن تمام حكمته في خلقه السماوات و الأرض

(وَمَا بَيْنَهُمَا)و أنه لم يخلقهما

(بَٰطِلًا)عبثا و لعبا من غير فائدة و لا مصلحة—الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ بَعْثًا وَ لَا مَعَادًا وَ إِنَّمَا يَعْتَقِدُونَ هَذِهِ الدَّارَ فَقَطْ

اثبات البعث و العدل يوم القيامة 19-27

(ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)بربهم حيث ظنوا ما لا يليق بجلاله.

(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ)فإنها التى تأخذ الحق منهم و تبلغ منهم كل مبلغ.

*و إنما خلق اللّه السماوات و الأرض بالحق و للحق فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه و قدرته و سعة سلطانه

و أنه تعالى وحده المعبود دون من لم يخلق مثقال ذرة من السماوات و الأرض

و أن البعث حق و سيفصل اللّه بين أهل الخير و الشر.

و لا يظن الجاهل بحكمة اللّه أن يسوي اللّه بينهما في حكمه 27

و لهذا قال:—(أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ)

هذا غير لائق بحكمتنا و حكمنا—لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ وَ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ

وَ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ دَارٍ أُخْرَى يُثَابُ فِيهَا هَذَا الْمُطِيعُ وَ يُعَاقَبُ فِيهَا هَذَا الْفَاجِرُ.

وَ هَذَا الْإِرْشَادُ يَدُلُّ الْعُقُولَ السَّلِيمَةَ وَ الْفِطَرَ الْمُسْتَقِيمَةَ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَعَادٍ وَ جَزَاءٍ
فَإِنَّا نَرَى الظَّالِمَ الْبَاغِيَ يَزْدَادُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُ وَ نَعِيمُهُ وَ يَمُوتُ كَذَلِكَ وَ نَرَى الْمُطِيعَ الْمَظْلُومَ يَمُوتُ بِكَمَدِهِ
فَلَا بُدَّ فِي حِكْمَةِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِنْصَافِ هَذَا مِنْ هَذَا.

وَ إِذَا لَمْ يَقَعْ هَذَا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ هُنَاكَ دَارًا أُخْرَى لِهَذَا الْجَزَاءِ وَالْمُوَاسَاةِ 28

وَ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَى الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَآخِذِ الْعَقْلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ قَالَ:-

(كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ)فيه خير كثير و علم غزير فيه كل هدى من ضلالة و شفاء من داء

و نور يستضاء به في الظلمات و كل حكم يحتاج إليه المكلفون

و فيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه اللّه.

(لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ)هذه الحكمة من إنزاله

ليتدبـــــــر النـــــــاس آياته فـــــــ:-

1-يستخـــــــــرجوا علمهـــــــا

2-و يتأملـــــــوا أسرارهـــــــا و حكمهـــــــا

*فإنه بالتدبر فيه و التأمل لمعانيه و إعادة الفكـــــر فيها مرة بعد مرة:-

تـــــدرك بركتـــــــه و خيـــــره

*و هـــــــذا يــــــدل عـــــلى:-

1-الحـــــــــث على تدبر القرآن و أنه من أفضل الأعمال

2-و أن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

(وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)أولو العقول الصحيحة يتذكرون بتدبرهم لها كل علم و مطلوب

فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان و عقله يحصل له التذكر و الانتفاع بهذا الكتاب.

*قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:-وَ اللَّهِ مَا تَدَبُّره بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَ إِضَاعَةِ حُدُودِهِ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ:-.

قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مَا يُرَى لَهُ القرآنُ فِي خُلُقٍ وَ لَا عَمَلٍ 29

قصة سليمان 30-40

*لما أثنى تعالى على داود و ذكر ما جرى له و منه أثنى على ابنه سليمان عليهما السلام فقال:-

(وَوَهَبْنَا)أنعمنا به عليه و أقررنا به عينه.

(لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ)نبيا

كما قَالَ:{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ}فِي النُّبُوَّةِ وَ إِلَّا فَقَدْ كَانَ لَهُ بَنُونَ غَيْرُهُ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ امْرَأَةٍ حَرَائِرَ.

(نِعْمَ ٱلْعَبْدُ)سليمان عليه السلام فإنه اتصف بما يوجب المدح

و هو (إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)رجّاع إلى اللّه في جميع أحواله بالتأله و الإنابة و المحبة و الذكر و الدعاء و التضرع

و الاجتهاد في مرضاة اللّه و تقديمها على كل شيء30

(إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ)عصرًا

*و لهذا لما عرضت عليه الخيل

(ٱلصَّٰفِنَٰتُ)التى من وصفها الصفون و هِىَ الَّتِي تَقِفُ عَلَى ثَلَاثٍ وَ طَرَفِ حَافِرِ الرَّابِعَةِ

(ٱلۡجِيَادُ)السبق–السِّرَاعُ

و كان لها منظر رائق و جمال معجب خصوصا للمحتاج إليها كالملوك فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس فى الحجاب فألهته عن صلاة المساء و ذكره31

فقال ندما على ما مضى منه و تقربا إلى اللّه بما ألهاه عن ذكره و تقديما لحب اللّه على حب غيره:–

(فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ)آثرت(حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ)الذى هو المال عموما و فى هذا الموضع المراد الخيل

*ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِعَرْضِهَا حَتَّى فَاتَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَ الَّذى يُقْطَعُ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْهَا عَمْدًا بَلْ نِسْيَانًا كَمَا شُغِلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى صَلَّاهَا بَعْدَ الْغُرُوبِ

*أبي داود 4932 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:-

قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَ فِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟»قَالَتْ: بَنَاتِي وَ رَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ

فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ قَالَ: «وَ مَا هَذَا الَّذِى عَلَيْهِ؟»

قَالَتْ: جَنَاحَانِ قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟»قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟

قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ

(عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ)غابت الشمس (بِٱلۡحِجَابِ) فى الحجاب32

(رُدُّوهَا عَلَيَّۖ)فردوها

(فَطَفِقَ)فشرع فيها

(مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ)جعل يعقرها بسيفه فى سوقها و أعناقها.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:-لَمْ يَكُنْ لِيُعَذِّبَ حَيَوَانًا بِالْعَرْقَبَةِ وَ يُهْلِكَ مَالًا مِنْ مَالِهِ بِلَا سَبَبٍ سِوَى أَنَّهُ اشْتَغَلَ عَنْ صِلَاتِهِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا وَ لَا ذَنْبَ لَهَا.

*قَدْ يَكُونُ فِي شَرْعِهِمْ جَوَازُ مِثْلِ هَذَا وَ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ غَضَبًا لله عز وجل بسبب أنه اشْتَغَلَ بِهَا حَتَّى خَرَجَ وَقْتُ الصَّلَاةِ

*كان التقرب بذبح الخيل مشروعاً فى شريعته

وَ لِهَذَا لَمَّا خَرَجَ عَنْهَا لِلَّهِ تَعَالَى عَوَّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا

وَ هِىَ الرِّيحُ الَّتِي تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ فَهَذَا أَسْرَعُ وَ خَيْرٌ مِنَ الْخَيْلِ

*أحمد:-20739 - عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَ أَبِي الدَّهْمَاءِ قَالَا: كَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ

قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ الْبَدَوِيُّ: أَخَذَ بِيَدِى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِى مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ

وَ قَالَ:إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ 31

(وَلَقَدْ فَتَنَّا)ابتلينا و اختبرنا(سُلَيْمَٰنَ)بذهاب ملكه و انفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية

(وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا)

أولا:–أى: شيطانا قضى اللّه و قدر أن يجلس على كرسى ملكه و يتصرف في الملك فى مدة فتنة سليمان

ثانيا:–ألقينا على كرسيه شق وَلَد وُلِد له حين أقسم ليطوفنَّ على نسائه و كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله و لم يقل: إن شاء الله فطاف عليهن جميعًا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد

(ثُمَّ أَنَابَ)

أولا:–رَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ أُبَّهَتِهِ-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا{وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}
قَالَ: أَرَادَ سُلَيْمَانُ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ فَأَعْطَى الْجَرَادَةَ خَاتَمَهُ –وَ كَانَتِ الْجَرَادَةُ امْرَأَتَهُ وَ كَانَتْ أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ-فَجَاءَ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهَا:-هَاتِي خَاتَمِي. فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ.
فَلَمَّا لَبِسَهُ دَانَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ وَ الشَّيَاطِينُ فَلَمَّا خَرَجَ سُلَيْمَانُ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ لَهَا: هَاتِي خَاتَمِي.
قَالَتْ: قَدْ أَعْطَيْتُهُ سُلَيْمَانَ.قَالَ: أَنَا سُلَيْمَانُ. قَالَتْ: كَذَبْتَ لَسْتَ سُلَيْمَانَ فَجَعَلَ لَا يَأْتِي أَحَدًا يَقُولُ لَهُ: أَنَا سُلَيْمَانُ" إِلَّا كَذَّبَهُ حَتَّى جَعَلَ الصِّبْيَانُ يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ.فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
قَالَ:وَ قَامَ الشَّيْطَانُ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى سُلَيْمَانَ سُلْطَانَهُ أَلْقَى فِي قُلُوبِ النَّاسِ إِنْكَارَ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ.

....

فَلَمَّا رَأَى الشَّيْطَانُ أَنَّهُ قَدْ فَطِنَ لَهُ ظَنَّ أَنَّ أَمْرَهُ قَدِ انْقَطَعَ فَكَتَبُوا كُتُبًا فِيهَا سِحْرٌ وَ كُفْرٌ فَدَفَنُوهَا تَحْتَ كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ ثُمَّ أَثَارُوهَا و قرءوها على الناس.

....

فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}
قَالَ: يَعْنِي الشَّيْطَانَ الَّذِى كَانَ سُلِّطَ عَلَيْهِ.

ثانيا:–ثم رجع سليمان إلى ربه و تاب34

فـ(قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ)
سَأَلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُلْكًا لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلُهُ

*البخارى3423 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﷛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ (يشير إلى قوله تعالى {قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك}تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي
فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا» {عِفْرِيتٌ} [النمل: 39]
مُتَمَرِّدٌ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جَانٍّ مِثْلُ زِبْنِيَةٍ جَمَاعَتُهَا (جمعها)الزَّبَانِيَةُ

*مسلم(542) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ﷛ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺفَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ:-«أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ»

ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ» ثَلَاثًا وَ بَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ
قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَ رَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ
قَالَ: " إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ

وَ اللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ35

(فَسَخَّرْنَا)ذللنا(لَهُ)

(ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ)طيِّعة مع قوتها و شدتها

*لَمَّا عَقَرَ سُلَيْمَانُ الْخَيْلَ غَضَبًا لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَوَّضَهُ اللَّهُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا وَ أَسْرَعُ الرِّيحُ الَّتِي غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ.

(رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ)حَيْثُ أَرَادَ مِنَ الْبِلَادِ36

*فاستجاب اللّه له و غفر له و رد عليه ملكه و زاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده و هو تسخير الشياطين له

(وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ)يبنون ما يريد

*مِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْأَبْنِيَةِ الْهَائِلَةِ مِنْ مَحَارِيبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ

(وَغَوَّاصٖ)فى البحر يستخرجون الدر و الحلى وَ الْجَوَاهِرِ وَ الْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا فِيهَا37

(وَءَاخَرِينَ)هم مردة الشياطين

(مُقَرَّنِينَ)موثوقون(فِي ٱلۡأَصۡفَادِ)الأغلال ممن عصاه أَوْ قَدْ أَسَاءَ فِي صنيعه و اعتدى38

و قلنا له: (هَٰذَا عَطَآؤُنَا)فقَرَّ به عينا

(فَٱمۡنُنۡ)على من شئت

(أَوۡ أَمۡسِكۡ)من شئت

(بِغَيۡرِ حِسَابٖ)لا حرج عليك في ذلك و لا حساب لعلمه تعالى بكمال عدله و حسن أحكامه
*وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺلَمَّا خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا -
وَ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ وَ إِنَّمَا هُوَ قَاسِمٌ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ-
وَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَ يَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِلَا حِسَابٍ وَ لَا جُنَاحٍ اخْتَارَ الْمَنْزِلَةَ الْأُولَى بَعْدَ مَا اسْتَشَارَ جِبْرِيلَ فَقَالَ لَهُ: تَوَاضَعْ فَاخْتَارَ الْمَنْزِلَةَ الْأُولَى لِأَنَّهَا أَرْفَعُ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَ أَعْلَى مَنْزِلَةً فِي الْمَعَادِ
وَ إِنْ كَانَتِ الْمَنْزِلَةُ الثَّانِيَةُ وَ هِيَ النُّبُوَّةُ مَعَ الْمُلْكِ عَظِيمَةً أَيْضًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ 39

*و لا تحسبن هذا لسليمان فى الدنيا دون الآخرة بل له في الآخرة خير عظيم.

و لهذا قال:-(وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ)هو من المقربين عند اللّه المكرمين بأنواع الكرامات للّه.

(وَحُسْنَ مَـَٔابٍ)مرجع40

فصل فيما تبين لنا من الفوائد و الحكم في قصة داود و سليمان عليهما السلام:-

1-أن اللّه تعالى يقص على نبيه محمد ﷺأخبار من قبله ليثبت فؤاده و تطمئن نفسه و يذكر له من عباداتهم و شدة صبرهم و إنابتهم ما يشوقه إلى منافستهم و التقرب إلى اللّه الذى تقربوا له و الصبر على أذى قومه و لهذا – في هذا الموضع – لما ذكر اللّه ما ذكر من أذية قومه و كلامهم فيه و فيما جاء به أمره بالصبر و أن يذكر عبده داود فيتسلى به.

2-أن اللّه تعالى يمدح و يحب القوة فى طاعته قوة القلب و البدن فإنه يحصل منها من آثار الطاعة و حسنها و كثرتها ما لا يحصل مع الوهن و عدم القوة

3-و أن العبد ينبغى له تعاطى أسبابها و عدم الركون إلى الكسل و البطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

4-أن الرجوع إلى اللّه في جميع الأمور من أوصاف أنبياء اللّه و خواص خلقه كما أثنى اللّه على داود و سليمان بذلك فليقتد بهما المقتدون و ليهتد بهداهم السالكون(أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)

5-ما أكرم اللّه به نبيه داود عليه السلام من حسن الصوت العظيم الذى جعل اللّه بسببه الجبال الصم و الطيور البهم يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح و يسبحن معه بالعشي و الإشراق.

6-أن من أكبر نعم اللّه على عبده أن يرزقه العلم النافع و يعرف الحكم و الفصل بين الناس كما امتن اللّه به على عبده داود عليه السلام.

7-اعتناء اللّه تعالى بأنبيائه و أصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم و ابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور و يعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى كما جرى لداود و سليمان عليهما السلام.

8-أن الأنبياء صلوات اللّه و سلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن اللّه تعالى لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك و أنه قد يجرى منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصى و لكن اللّه يتداركهم و يبادرهم بلطفه.

9-أن داود عليه السلام كان في أغلب أحواله ملازما محرابه لخدمة ربه و لهذا تسور الخصمان عليه المحراب لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد فلم يجعل كل وقته للناس مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام بل جعل له وقتا يخلو فيه بربه و تقر عينه بعبادته و تعينه على الإخلاص في جميع أموره.

10-أنه ينبغى استعمال الأدب فى الدخول على الحكام و غيرهم فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة و من غير الباب المعهود فزع منهم و اشتد عليه ذلك و رآه غير لائق بالحال.

11-أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم و فعله ما لا ينبغي.

12-كمال حلم داود عليه السلام فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان و هو الملك و لا انتهرهما و لا وبخهما.

13-جواز قول المظلوم لمن ظلمه « أنت ظلمتني » أو « يا ظالم » و نحو ذلك أو باغ علي لقولهما: (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ)

14-أن الموعوظ و المنصوح و لو كان كبير القدر جليل العلم إذا نصحه أحد أو وعظه لا يغضب و لا يشمئز بل يبادره بالقبول و الشكر

فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمئز و لم يغضب و لم يثنه ذلك عن الحق بل حكم بالحق الصرف.

15-أن المخالطة بين الأقارب و الأصحاب و كثرة التعلقات الدنيوية المالية موجبة للتعادي بينهم و بغي بعضهم على بعض و أنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى اللّه و الصبر على الأمور بالإيمان و العمل الصالح و أن هذا من أقل شيء في الناس.

16-أن الاستغفار و العبادة خصوصا الصلاة من مكفرات الذنوب فإن اللّه رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره و سجوده.

17-إكرام اللّه لعبده داود و سليمان بالقرب منه و حسن الثواب و أن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند اللّه تعالى

و هذا من تمام لطفه بعباده المخلصين أنه إذا غفر لهم و أزال أثر ذنوبهم أزال الآثار المترتبة عليه كلها حتى ما يقع في قلوب الخلق فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى فأزال اللّه تعالى هذه الآثار وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.

18-أن الحكم بين الناس مرتبة دينية تولاها رسل اللّه و خواص خلقه و أن وظيفة القائم بها الحكم بالحق و مجانبة الهوى فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية

و العلم بصورة القضية المحكوم بها و كيفية إدخالها في الحكم الشرعي فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم و لا يحل له الإقدام عليه.

19-أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى و يجعله منه على بال فإن النفوس لا تخلو منه بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده و أن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

20-أن سليمان عليه السلام من فضائل داود و من منن اللّه عليه حيث وهبه له و أن من أكبر نعم اللّه على عبده أن يهب له ولدا صالحا فإن كان عالما كان نورا على نور.

21-ثناء اللّه تعالى على سليمان و مدحه في قوله (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)

22-كثرة خير اللّه و بره بعبيده أن يمن عليهم بصالح الأعمال و مكارم الأخلاق ثم يثني عليهم بها و هو

المتفضل الوهاب.

23–تقديم سليمان محبة اللّه تعالى على محبة كل شيء.

23–أن كل ما أشغل العبد عن اللّه فإنه مشئوم مذموم فَلْيُفَارِقْه و لْيُقْبِلْ على ما هو أنفع له.

25–القاعدة المشهورة « من ترك شيئا لله عوضه اللّه خيرا منه »

فسليمان ﷺعقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس تقديما لمحبة اللّه فعوضه اللّه خيرا من ذلك بأن سخر له

الريح الرخاء اللينة التى تجري بأمره إلى حيث أراد و قصد غدوها شهر و رواحها شهر

و سخر له الشياطين أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

26–أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان ﷺ

27–أن سليمان ﷺ كان ملكا نبيا يفعل ما أراد و لكنه لا يريد إلا العدل بخلاف النبى العبد فإنه تكون إرادته

تابعة لأمر اللّه فلا يفعل و لا يترك إلا بالأمر كحال نبينا محمد ﷺ و هذه الحال أكمل.

*ثم ذَكَرَ تَعَالَى عَبْدَهُ وَ رَسُولَهُ أَيُّوبَ ﷺوَ مَا كَانَ ابْتَلَاهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الضُّرِّ فِي جَسَدِهِ وَ مَالِهِ وَ وَلَدِهِ حَتَّى
لَمْ يَبْقَ مَنْ جَسَدِهِ مَغرز إِبْرَةٍ سَلِيمًا سِوَى قَلْبِهِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مَنْ حَالِ الدُّنْيَا شَيْءٌ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَرَضِهِ
وَ مَا هُوَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ زَوْجَتَهُ حَفِظَتْ وِدَّهُ لِإِيمَانِهَا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ

قصة أيوب 41-44

فَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ بِالْأُجْرَةِ وَ تُطْعِمُهُ وَ تَخْدُمُهُ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةِ.
وَ قَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَالٍ جَزِيلٍ وَ أَوْلَادٍ وَ سَعَةٍ طَائِلَةٍ مِنَ الدُّنْيَا فَسُلِبَ جَمِيعَ ذَلِكَ
حَتَّى آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ مِنْ مَزَابِلِ الْبَلْدَةِ هَذِهِ الْمُدَّةَ بِكَمَالِهَا وَ رَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَ الْبَعِيدُ
سِوَى زَوْجَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
فَإِنَّهَا كَانَتْ لَا تُفَارِقُهُ صَبَاحًا وَ لَا مَسَاءً إِلَّا بِسَبَبِ خِدْمَةِ النَّاسِ ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ قَرِيبًا.

(وَٱذۡكُرۡ)فى هذا الكتاب ذي الذكر

(عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ)

بأحسن الذكر و أثن عليه بأحسن الثناء حين أصابه الضر فصبر على ضره فلم يشتك لغير ربه و لا لجأ إلا إليه.

(إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ)داعيا و إليه لا إلى غيره شاكيا
فَلَمَّا طَالَ الْمَطَالُ وَ اشْتَدَّ الْحَالُ وَ انْتَهَى الْقَدَرُ الْمَقْدُورُ وَ تَمَّ الْأَجَلُ الْمُقَدَّرُ تَضَرَّعَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَإِلَهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: -{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء: 83]

وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَالَ:-رب (أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ)بتعب فِي بَدَنِي

(وَعَذَابٍ)فِي مَالِي وَ وَلَدِي-بأمر مشق متعب معذب–و كان سلط على جسده فنفخ فيه حتى تقرح

ثم تقيح بعد ذلك و اشتد به الأمر و كذلك هلك أهله و ماله41

فقيل له: (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ)اضرب الأرض بها

(هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ)فَأَنْبَعَ اللَّهُ عَيْنًا وَ أَمَرَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنْهَا فَأَذْهَبَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْأَذَى

(وَشَرَابٌ)ثُمَّ أَمَرَهُ فَضَرَبَ الْأَرْضَ فِي مَكَانٍ آخَرَ فَأَنْبَعَ لَهُ عَيْنًا أُخْرَى وَ أَمَرَهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا فَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ فِي بَاطِنِهِ مِنَ السُّوءِ وَ تَكَامَلَتِ الْعَافِيَةُ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا

*لينبع لك منها عين تغتسل منها و تشرب فيذهب عنك الضر و الأذى ففعل ذلك فذهب عنه الضر و شفاه اللّه تعالى.

*عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ ﵇لَبِثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَ الْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ بِهِ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَ يَرُوحَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:-تَعَلَّمْ -وَ اللَّهِ-لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَ مَا ذَاكَ؟قَالَ: مِنْ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ فيكشفَ مَا بِهِ
فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ.
فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يَذْكُرَا اللَّهَ إِلَّا فِي حَقٍّ.
قَالَ:-وَ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا وَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَيُّوبَ ﵇أَنِ {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}
فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَ هُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ.
فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى.
فَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا. قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ.
قَالَ: وَ كَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ وَ أَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ
فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ
وَ أَفْرَغَتِ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ حَتَّى فَاضَ.
*البخارى279 – وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-
بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ

فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَ عِزَّتِكَ وَ لَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ42

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

(وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ)قيل: إن اللّه تعالى أحياهم له(وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ)فى الدنيا و أغناه اللّه و أعطاه مالا عظيما

(رَحْمَةً مِّنَّا)بِهِ عَلَى صَبْرِهِ وَ ثَبَاتِهِ وَ إِنَابَتِهِ وَ تَوَاضُعِهِ وَ اسْتِكَانَتِهِ

O بعبدنا أيوب حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثوابا عاجلا و آجلا.

(وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ)العقول بحالة أيوب و يعتبروا

فيعلموا أن من صبر على الضر أن اللّه تعالى يثيبه ثوابا عاجلا و آجلا و يستجيب دعاءه إذا دعاه.

*لِيَعْلَمُوا أَنَّ عاقبةَ الصَّبْرِ:- الفرجُ و المخرجُ و الراحة43

(وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا)حزمة شماريخ

(فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ)

قال المفسرون: و كان في مرضه و ضره قد غضب على زوجته في بعض الأمور فحلف: لئن شفاه اللّه ليضربنها مائة جلدة فلما شفاه اللّه و كانت امرأته صالحة محسنة إليه رحمها اللّه و رحمه

فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة فيبر في يمينه.

(إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ)أى أيوب

(صَابِرًا)ابتليناه بالضر العظيم فصبر لوجه اللّه تعالى.

(نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ)الذى كمل مراتب العبودية في حال السراء و الضراء و الشدة و الرخاء.

(إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)كثير الرجوع إلى اللّه في مطالبه الدينية و الدنيوية كثير الذكر لربه و الدعاء و المحبة و التأله44

قصة أيوب و ذريته 45-48

يقول تعالى:–(وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ)الذين أخلصوا لنا العبادة ذكرا حسنا

(إِبۡرَٰهِيمَ)الخليل (و) ابنه (وَإِسۡحَٰقَ و)ابن ابنه (وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي)القوة على عبادة اللّه تعالى

(وَٱلۡأَبۡصَٰرِ)البصيرة و الْفِقْهِ فى دين اللّه-فوصفهم بالعلم النافع و العمل الصالح الكثير45

(إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ)عظيمة و خصيصة جسيمة و هى: جعلنا

(ذِكۡرَى ٱلدَّارِ)الآخرة فى قلوبهم و العمل لها صفوة وقتهم و الإخلاص و المراقبة للّه وصفهم الدائم

و جعلناهم (ذِكۡرَى ٱلدَّارِ)يتذكر بأحوالهم المتذكر و يعتبر بهم المعتبر و يذكرون بأحسن الذكر46

(وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ)الذين اصطفاهم اللّه من صفوة خلقه

(ٱلۡأَخۡيَارِ)الذين لهم كل خلق كريم و عمل مستقيم47

(وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ)و اذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر و أثن عليهم أحسن الثناء

(وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ)فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم اللّه من الخلق و اختار لهم أكمل الأحوال من الأعمال و الأخلاق و الصفات الحميدة و الخصال السديدة48

جزاء المتقين و الطاغين يوم القيامة 49-64

(هَٰذَا)ذكر هؤلاء الأنبياء الصفوة و ذكر أوصافهم

(ذِكۡرٞۚ)فى هـــــذا القـــــــرآن ذي الذكــــــــر:–

1–يتذكـــــــر بأحوالهم المتذكرون

2–و يشتـــــــاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون

3–و يعرف ما منَّ اللّه عليهم به من الأوصاف الزكية و ما نشر لهم من الثناء بين البرية.

فهذا نوع من أنواع الذكر و هو ذكر أهل الخير و من أنواع الذكر ذكر جزاء أهل الخير و أهل الشر

و لهـذا قال: –(وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ)ربهم بامتثال الأوامر و اجتناب النواهى من كل مؤمن و مؤمنة

(لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ)لمآبا حسنا و مرجعا مستحسنا49

ثم فسره و فصله فقال:–

(جَنَّٰتِ عَدۡنٍ)إقامة لا يبغى صاحبها بدلا منها من كمالها و تمام نعيمها و ليسوا بخارجين منها و لا بمخرجين.

(مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ)لأجلهم أبواب منازلها و مساكنها لا يحتاجون أن يفتحوها هم بل هم مخدومون

و هذا دليل أيضا على الأمان التام و أنه ليس في جنات عدن ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها50

(مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا)على الأرائك المزينات و المجالس المزخرفات

(يَدۡعُونَ فِيهَا)أى يأمرون خدامهم أن يأتوا

(بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ)من كل ما تشتهيه نفوسهم و تلذه أعينهم

و هذا يدل على كمال النعيم و كمال الراحة و الطمأنينة و تمام اللذة51

(۞وَعِندَهُمۡ) من أزواجهم الحور العين

(قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ)طرفهن على أزواجهن و طرف أزواجهن عليهن لـــــــ:–

1–جمــــــالهم كلهم

2–و محبـــــــة كل منهما للآخر

3–و عـــــــدم طموحه لغيره و أنه لا يبغى بصاحبه بدلا و لا عنه عوضا

(أَتۡرَابٌ) على سن واحد أعدل سن الشباب و أحسنه و ألذه52

(هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ)أيها المتقون

(لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)جزاء على أعمالكم الصالحة53

(إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا)الذى أوردناه على أهل دار النعيم

(مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ)انقطاع–بل هو دائم مستقر في جميع الأوقات متزايد في جميع الآنات.

و ليس هذا بعظيم على الرب الكريم الرءوف الرحيم البر الجواد الواسع الغني الحميد اللطيف الرحمن الملك الديان الجليل الجميل المنان ذي الفضل الباهر و الكرم المتواتر الذي لا تحصى نعمه و لا يحاط ببعض بره.

* كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} [النَّحْل: 96]وَ كَقَوْلِهِ {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هُود: 108]

وَ كَقَوْلِهِ {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فُصِّلَتْ: 8]أَيْ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ

وَ كَقَوْلِهِ:{أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} [الرَّعْد: 35]54

(هَٰذَاۚ)الجزاء للمتقين ما وصفناه(وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ)المتجاوزين للحد فى الكفر و المعاصى

(لَشَرَّ مَـَٔابٖ)مرجع و منقلب55

ثم فصله فقال:-(جَهَنَّمَ)التى جمع فيها كل عذاب و اشتد حرها و انتهى قرها

(يَصۡلَوۡنَهَا)يعذبون فيها عذابا يحيط بهم من كل وجه لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل.

(فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ)المعد لهم مسكنا و مستقرا56

(هَٰذَا)المهاد هذا العذاب الشديد و الخزي و الفضيحة و النكال

(فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ)ماء حار قد اشتد حره يشربونه فَيقَطعُ أمعاءهم.

(وَغَسَّاقٞ)

هو أكره ما يكون من الشراب من قيح و صديد مر المذاق كريه الرائحة–الْبَارِدُ الَّذِى لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ الْمُؤْلِمِ57

(وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ)نوعه–لونه

(أَزۡوَٰجٌ)وَ أَشْيَاءُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ الشَّىْءُ وَ ضِدُّهُ يُعَاقَبُونَ بِهَا.
*كـــــ-الزَّمْهَرِيرِ وَ السَّمُومِ وَ شُرْبِ الْحَمِيمِ وَ أَكْلِ الزَّقُّومِ وَ الصُّعُودِ وَ الْهُوِيُّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ الْمُتَضَادَّةِ وَ الْجَمِيعُ مِمَّا يُعَذَّبُونَ بِهِ وَ يُهَانُونَ بِسَبَبِهِ58

*و عند تواردهم على النار يشتم بعضهم بعضا و يقول بعضهم لبعض:–

(هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ)داخل (مَّعَكُمۡ)النار

(لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ)و لا اتسعت منازلهم فى النار(إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ)مقاسون حرَّ النار كما قاسيناها59

*هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ قِيلِ أَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ} [الْأَعْرَافِ: 38]
يَعْنِي بَدَلَ السَّلَامِ يَتَلَاعَنُونَ وَ يَتَكَاذَبُونَ وَ يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَتَقُولُ الطَّائِفَةُ الَّتِي تَدْخُلُ قَبْلَ الْأُخْرَى إِذَا أَقْبَلَتِ الَّتِي بَعْدَهَا مَعَ الْخَزَنَةِ مِنَ الزَّبَانِيَةِ:

(قَالُواْ)الفوج المقبل المقتحم:(بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ)العذاب

(لَنَاۖ)بدعوتكم لنا و فتنتكم و إضلالكم و تسببكم.

(فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ) دار الاستقرار جهنم-قرار الجميع قرار السوء و الشر60

ثم دعوا على المُغْوِين لهم فـــــــ(قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ)

و قال فى الآية الأخرى:–

{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ} [الْأَعْرَافِ: 38] 61

وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾
إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾
مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾
إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾
فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾
قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾
وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

(وَقَالُوا۟)و هم فى النار(مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم)نزعم أنهـــــــم

(مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ)المستحقين لعذاب النار و هم المؤمنون تفقدهم أهل النار –قبحهم اللّه–هل يرونهم في النار؟62

(أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ)

أى: عـــــدم رؤيتنـــــا لهـــــم دائـــــر بين أمـــــرين:-

الأمــــــر الاول:–

(أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا)هل تحقيرنا لهم و استهزاؤنا بهم خطأ

*إما أننا غالطون فى عدنا إياهم من الأشرار بل هم من الأخيار و إنما كلامنا لهم من باب السخرية و الاستهزاء بهم و هذا هو الواقع كما قال تعالى لأهل النار:–(إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ)

و الأمر الثانى :–

(أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ)أو أنهم معنا فى النار لكن لم تقع عليهم الأبصار؟

*أنهم لعلهم زاغت أبصارنا عن رؤيتهم معنا في العذاب و إلا فهم معنا معذبون و لكن تجاوزتهم أبصارنا

فيحتمـــــــــل أن:–

هذا الذي فى قلوبهم فتكون العقائد التى اعتقدوها في الدنيا و كثرة ما حكموا لأهل الإيمان بالنار تمكنت من قلوبهم و صارت صبغة لها فدخلوا النار و هم بهذه الحالة فقالوا ما قالوا.

و يحتمـــــــــل أن :-

كلامهم هذا كلام تمويه كما موهوا في الدنيا موهوا حتى في النار و لهذا يقول أهل الأعراف لأهل النار

(أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)63

قال تعالى مؤكدا ما أخبر به و هو أصدق القائلين:-

(إِنَّ ذَٰلِكَ)الذي ذكرت لكم

(لَحَقٌّ)ما فيه شك و لا مرية

من جدال و (تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ)64

تأكيد رسالة النبى ﷺ 65-70

(قُلۡ)يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين إن طلبوا منك ما ليس لك و لا بيدك: -

(إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ)

هذا نهاية ما عندى و أما الأمر فلله تعالى و لكنى آمركم و أنهاكم و أحثكم على الخير و أزجركم عن الشر

(فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَعَلَيْهَا)

(وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ)ما أحد يؤله و يعبد بحق (إِلَّا ٱللَّهُ)

(ٱلۡوَٰحِدُ)فهو المتفردُ بعظمته و أسمائه وصفاته و أفعاله

(ٱلۡقَهَّارُ)الذى قهر كل شىء و غلبه.

*هذا تقرير لألوهيته بهذا البرهان القاطع و هو وحدته تعالى و قهره لكل شيء فإن القهر ملازم للوحدة

فلا يكون قهارين متساويين في قهرهما أبدا65

فالذى يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذى لا نظير له و هو الذي يستحق أن يعبد وحده كما كان قاهرا وحده

و قرر ذلك أيضا بتوحيد الربوبية فقــــــــال:-

(رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا)خالقهما و مربيهما و مدبرها بجميع أنواع التدابير.

(ٱلۡعَزِيزُ)الذى له القوة التي بها خلق المخلوقات العظيمة.

(ٱلۡغَفَّٰرُ)لجميع الذنوب صغيرها و كبيرها لمن تاب إليه و أقلع منها.

فهذا الذي يحب و يستحق أن يعبد دون من لا يخلق و لا يرزق و لا يضر و لا ينفع و لا يملك من الأمر شيئا

و ليس له قوة الاقتدار و لا بيده مغفرة الذنوب و الأوزار66

(قُلْ)لهم مخوفا و محذرا و منهضا لهم و منـــــــــــذرا:-

(هُوَ)القرآن-ما أنبأتكم به من البعث و النشور و الجزاء على الأعمال

(نَبَؤٌاْ)خبر

(عَظِيمٌ)ينبغى الاهتمام الشديد بشأنه و لا ينبغى إغفاله.

و لكن (أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ)

كأنه ليس أمامكم حساب و لا عقاب و لا ثواب فإن شككتم فى قولى و امتريتم فى خبرى

فإني أخبركم بأخبار لا علم لي بها و لا درستها فى كتاب

فإخبارى بها على وجهها من غير زيادة و لا نقص أكبر شاهد لصدقى و أدل دليل على حق ما جئتكم به68

و لهـــــــــذا قال:-

(مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ)ملائكة السماء فى شأن خلق آدم وَ امْتِنَاعِ إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ وَ مُحَاجَّتِهِ رَبَّهُ فِي تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ؟لولا تعليم اللّه إياى و إيحاؤه إلى69

و لهذا قال: (إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ)ظاهر النذارة جليها فلا نذير أبلغ من نذارته ﷺ70

*ثم ذكر اختصام الملأ الأعلى فقال:-(إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ)على وجه الإخبار

قصة آدم و تكبر ابليس 71-85

(إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ)مادته من طين71

(فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ)سويت جسمه و تـــــــــمَّ

(وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ)

فوطَّن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك حين يتم خلقه و نفخ الروح فيه امتثالا لربهم و إكراما لآدم عليه السلام 72

فلما تم خلقه فى بدنه و روحه و امتحن اللّه آدم و الملائكة في العلم و ظهر فضله عليهم أمرهم اللّه بالسجود

*و قد حرَّم الله فى شريعة الإسلام السجود للتحية.

(فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)فسجدوا

(كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ)73

(إِلَّآ إِبۡلِيسَ)لم يسجد(ٱسۡتَكۡبَرَ)عن أمر ربه و استكبر على آدم

(وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)في علم اللّه تعالى74

فـــــــ(قَالَ) اللّه موبخا و معاتبا:–

(يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ)شرفته و كرمته و اختصصته بهذه الخصيصة التي اختص بها عن سائر الخلق و ذلك يقتضي عدم التكبر عليه.

(أَسۡتَكۡبَرۡتَ)فى امتناعك

(أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ) 75

(قَالَ)إبليس معارضا لربه و مناقضا:–

(أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ)و بزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين

(((و هذا من القياس الفاسد)))

فإن عنصر النـــــار :–مادة الشر و الفساد و العلو و الطيش و الخفة

و عنصر الطيـــــــن :–مادة الرزانة و التواضع و إخراج أنواع الأشجار و النباتات

و هو يغلب النار و يطفئها و النار تحتاج إلى مادة تقوم بها و الطين قائم بنفسه

*فهذا قياس شيخ القوم الذى عارض به الأمر الشفاهى من اللّه قد تبين غاية بطلانه و فساده فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟

فإنها كلها أعظم بطلانا و فسادا من هذا القياس76

فـــــــ(قَالَ)اللّه له:–

(فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا)من السماء و المحل الكريم.

(فَإِنَّكَ رَجِيمٞ)مرجوم بالقول مدحور ملعون مُبْعد77

(وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ)طردى و إبعادى

(إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ)دائما أبدا78

(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ)لشدة عداوته لآدم و ذريته ليتمكن من إغواء من قدر اللّه أن يغويه79

فـــــــ(قَالَ)اللّه مجيبا لدعوته حيث اقتضت حكمته ذلك:–

(فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ)المؤخَّرين٨٠

(إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ)و هو يوم النفخة الأولى عندما تموت الخلائق81

فلما علم أنه منظر بادى ربه من خبثه بشدة العداوة لربه و لآدم و ذريته فقال:–

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ) لأضلنَّ

(أَجۡمَعِينَ)

أولا:–يحتمل أن البـــــاء للقســـــــم:–و أنه أقسم بعزة اللّه ليغوينهم كلهم أجمعين82

(إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ)

إلا مَن أخلصتَه منهم لعبادتك و عصمتَه من إضلالى فلم تجعل لى عليهم سبيلا.

* كَمَا قَالَ: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً} [الإِسْرَاء: 62]

وَ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُسْتَثْنَوْنَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى وَ هِىَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً} [الإِسْرَاء: 65]علم أن الله سيحفظهم من كيده.

ثانيا:–و يحتمل أن البــــاء للاستعـــــانة:–

*و أنه لما علم أنه عاجز من كل وجه و أنه لا يضل أحدا إلا بمشيئة اللّه تعالى:–

فاستعان بعزة اللّه على إغواء ذرية آدم هذا و هو عدو اللّه حقا.

*و نحن يا ربنا العاجزون المقصرون المقرون لك بكل نعمة ذرية من شرفته و كرمته فنستعين بعزتك العظيمة و قدرتك و رحمتك الواسعة لكل مخلوق و رحمتك التى أوصلت إلينا بها ما أوصلت من النعم الدينية و الدنيوية و صرفت بها عنا ما صرفت من النقم أن تعيننا على محاربته و عداوته و السلامة من شره و شركه و نحسن الظن بك أن تجيب دعاءنا و نؤمن بوعدك الذى قلت لنا:–(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

فقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا(إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)83

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

سورة الزمر-مكية--بسم الله الرحمن الرحيم

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

(قَالَ)الله تعالى (فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ)الحق و صفى و الحق قولى84

اثبات البعث و العدل يوم القيامة 27-19

(لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ)

قُلْتُ:وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{وَلَـكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السَّجْدَة: 13]

وَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً} [الإِسْرَاء: 63]85

*فلما بين الرسول للناس الدليل و وضح لهم السبيل قال الله لـــــــه: –

(قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ)على دعائى إياكم

(مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ) أدعى أمرا ليس لى و أقفو ما ليس لى به علم لا أتبع إلا ما يوحى إلىَّ.

*وَ مَا أَزِيدُ عَلَى مَا أَرْسَلَنِي اللَّهُ بِهِ وَ لَا أَبْتَغِي زِيَادَةً عَلَيْهِ بَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ أَدَّيْتُهُ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِ وَ لَا أَنْقَصُ مِنْهُ وَ إِنَّمَا أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ.

*البخارى4809 -عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ
قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ وَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ:-{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص: 86]86

(إِنۡ هُوَ)أى: هذا الوحى و القرآن

(إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ)الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ

يتذكرون به كل ما ينفعهم من مصالح دينهم و دنياهم فيكون شرفا و رفعة للعاملين به و إقامة حجة على المعاندين.

فهـــــذه الســــــورة العظيمـــــــة مشتملـــــــة على:-

1-الذكر الحكيم و النبأ العظيم

2-و إقامة الحجج و البراهين على من كذب بالقرآن و عارضه و كذب من جاء به

3-و الإخبار عن عباد اللّه المخلصين

4-و جزاء المتقين و الطاغين.

فلهذا أقسم فى أولها بأنه ذو الذكر و وصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين.

*و أكثر التذكير بها فيما بين ذلك كقـــــــوله:-(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا وَاذْكُرْ عِبَادَنَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى هَذَا ذِكْرٌ

اللّهم علمنا منه ما جهلنا و ذكرنا منه ما نسينا نسيان غفلة و نسيان ترك87

(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ)خبره

(بَعْدَ حِينٍۭ)و ذلك حين يقع عليهم العذاب و تتقطع عنهم الأسباب88

تفسيــــــر ســــورة الــــزمـــــر وهى مكيـــــــة

(تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ)

الدعوة للتوحيد 1-7

يخبر تعالى عن عظمة القرآن و جلالة من تكلم به و نزل منه و أنه نزل من اللّه

(ٱلْعَزِيزِ)الْمَنِيعِ الْجَنَابِ

(ٱلْحَكِيمِ)فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ وَ شَرْعِهِ وَ قَدَرِهِ

أى:-الذى وصفه الألوهية للخلق و ذلك لعظمته و كماله و العزة التي قهر بها كل مخلوق و ذل له كل شيء و الحكمة في خلقه و أمره.

فالقرآن نازل ممن هذا وصفه و الكلام وصف للمتكلم و الوصف يتبع الموصوف

فكما أن اللّه تعالى هو الكامل من كل وجه الذي لا مثيل له فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له

فهذا وحده كاف في وصف القرآن دال على مرتبته 1

(إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ)

و لكنه – مع هذا – زاد بيانا لكماله بمن نزل عليه و هو محمد ﷺ الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب و بما نزل به و هو الحق فنزل بالحق الذي لا مرية فيه

لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور و نزل مشتملا على الحق في أخباره الصادقة و أحكامه العادلة

فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق من جميع المطالب العلمية و ما بعد الحق إلا الضلال

*و لما كان نازلا من الحق مشتملا على الحق لهداية الخلق على أشرف الخلق عظمت فيه النعمة وجلّت و وجب القيام بشكرها و ذلك بإخلاص الدين للّه

فلهذا قال: (فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ)

أى: أخلص للّه تعالى جميع دينك من الشرائع الظاهرة و الشرائع الباطنة:-الإسلام و الإيمان و الإحسان بأن تفرد اللّه وحده بها و تقصد به وجهه لا غير ذلك من المقاصد.

(أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ)

*لَا يُقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أَخْلَصَ فِيهِ الْعَامِلُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

❍هذا تقرير للأمر بالإخلاص و بيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله و له التفضل على عباده من جميع الوجوه فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه و ارتضاه لصفوة خلقه و أمرهم به لأنه متضمن للتأله للّه فى حبه و خوفه و رجائه و للإنابة إليه في عبوديته و الإنابة إليه فى تحصيل مطالب عباده.

و ذلك الذى يصلح القلوب و يزكيها و يطهرها دون الشرك به في شيء من العبادة.

فإن اللّه بريء منه و ليس للّه فيه شيءفهو أغنى الشركاء عن الشرك

و هو مفسد للقلوب و الأرواح و الدنيا و الآخرة مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء

*فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص نهى عن الشرك به و أخبر بذم من أشرك به فقال:-

(وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ)

يتولونهم بعبادتهم و دعائهم معتذرين عن أنفسهم و قائلين:-

(مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ)تقربنا عنده منزلة

*لترفع حوائجنا للّه و تشفع لنا عنده و إلا فنحن نعلم أنها لا تخلق و لا ترزق و لا تملك من الأمر شيئا

*إِنَّمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَصْنَامٍ اتَّخَذُوهَا عَلَى صُوَرِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي زَعْمِهِمْ فَعَبَدُوا تِلْكَ الصُّوَرَ تَنْزِيلًا لِذَلِكَ مَنْزِلَةَ عِبَادَتِهِمُ الْمَلَائِكَةَ لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عند الله فِي نَصْرِهِمْ وَ رِزْقِهِمْ وَ مَا يَنُوبُهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَأَمَّا الْمَعَادُ فَكَانُوا جَاحِدِينَ لَهُ كَافِرِينَ بِهِ.

*وَ لِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ إِذَا حَجُّوا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ:-

لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَ مَا مَلَكَ".

وَ هَذِهِ الشُّبْهَةُ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْمُشْرِكُونَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَ حَدِيثِهِ وَ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بِرَدِّهَا وَ النَّهْيِ عَنْهَا وَ الدَّعْوَةِ إِلَى إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

وَ أَنَّ هَذَا شَيْءٌ اخْتَرَعَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ فِيهِ وَ لَا رَضِيَ بِهِ بَلْ أَبْغَضَهُ وَ نَهَى عَنْهُ:-

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[النَّحْلِ:36]

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:25]

*وَ أَخْبَرَ أَنَّ الملائكة التي في السموات مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَ غَيْرِهِمْ كُلَّهُمْ عَبِيدٌ خَاضِعُونَ لِلَّهِ لَا يَشْفَعُونَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِمَنِ ارْتَضَى وَ لَيْسُوا عِنْدَهُ كَالْأُمَرَاءِ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ يُشَفَّعُونَ عِنْدَهُمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فِيمَا أَحَبَّهُ الْمُلُوكُ وَ أَبَوْهُ {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ} [النحل:74]تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

أى: فهؤلاء قد تركوا ما أمر اللّه به من الإخلاص و تجرأوا على أعظم المحرمات و هو الشرك

*و قاسوا الذى ليس كمثله شيء الملك العظيم بالملوك

*و زعموا بعقولهم الفاسدة و رأيهم السقيم أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء و شفعاء و وزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم و يستعطفونهم عليهم و يمهدون لهم الأمر فى ذلك أن اللّه تعالى كذلك.

*و هذا القياس من أفسد الأقيسة و هو يتضمن التسوية بين الخالق و المخلوق مع ثبوت الفرق العظيم عقلا و نقلا و فطرة

*فإن الملوك إنما احتاجوا للوساطة بينهم و بين رعاياهم لأنهم لا يعلمون أحوالهم.

فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم و ربما لا يكون فى قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة

فيحتاج من يعطفهم عليه و يسترحمه لهم و يحتاجون إلى الشفعاء و الوزراء و يخافون منهم فيقضون حوائج من توسطوا لهم مراعاة لهم و مداراة لخواطرهم و هم أيضا فقراء قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

*و أما الرب تعالى فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور و بواطنها الذى لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته و عباده و هو تعالى أرحم الراحمين و أجود الأجودين لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحما لعباده بل هو أرحم بهم من أنفسهم و والديهم و هو الذى يحثهم و يدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته و هو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم و هو الغنى الذى له الغنى التام المطلق الذي لو اجتمع الخلق من أولهم و آخرهم في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلا منهم ما سأل و تمنى لم ينقصوا من غناه شيئا و لم ينقصوا مما عنده إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

و جميع الشفعاء يخافونه فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه و له الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به و سفههم العظيم و شدة جراءتهم عليه.

و يعلم أيضا الحكمة في كون الشرك لا يغفره اللّه تعالى لأنه يتضمن القدح في اللّه تعالى

و لهذا قال حاكما بين الفريقين المخلصين و المشركين و فى ضمنه التهديد للمشركين:-

(إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ)يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)سَيَفْصِلُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَ يَجْزِى كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ:41 40]

*و قد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم و من يشرك باللّه فقد حرم اللّه عليه الجنة و مأواه النار.

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي)يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم

(مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ)وصفه الكذب أو الكفر بحيث تأتيه المواعظ و الآيات

و لا يزول عنه ما اتصف به و يريه اللّه الآيات فيجحدها و يكفر بها و يكذب

فهذا أنّى له الهدى و قد سد على نفسه الباب و عوقب بأن طبع اللّه على قلبه فهو لا يؤمن؟ 3

(لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا) كما زعم ذلك من زعمه من سفهاء الخلق

(لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ)

بعض مخلوقاته التى يشاء اصطفاءه و اختصه لنفسه و جعله بمنزلة الولد و لم يكن حاجة إلى اتخاذ الصاحبة.

*لَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا يَزْعُمُونَ .

وَ هَذَا شَرْطٌ لَا يَلْزَمُ وُقُوعُهُ وَ لَا جَوَازُهُ بَلْ هُوَ مُحَالٌ وَ إِنَّمَا قَصَدَ تَجْهِيلَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ وَ زَعَمُوهُ

كَمَا قَالَ:-{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} [الْأَنْبِيَاءِ:17]

{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزُّخْرُفِ:81]

كُلُّ هَذَا مِنْ بَابِ الشَّرْطِ وَ يَجُوزُ تَعْلِيقُ الشَّرْطِ عَلَى الْمُسْتَحِيلِ لِقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَ قَوْلُهُ:–(سُبۡحَٰنَهُۥۖ)عما ظنه به الكافرون أو نسبه إليه الملحدون–تَنَزَّهَ وَ تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ

(هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ)الْأَحَدُ فى ذاته و فى أسمائه و فى صفاته و فى أفعاله

*الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ عَبْدٌ لَدَيْهِ فَقِيرٌ إِلَيْهِ وَ هُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ الَّذِى قَدْ قَهَرَ الْأَشْيَاءَ فَدَانَتْ لَهُ وَ ذَلَّتْ وَ خَضَعَتْ.

*فلا شبيه له في شيء من ذلك و لا مماثل فلو كان له ولد لاقتضى أن يكون شبيها له في وحدته

لأنه بعضه و جزء منه.

(ٱلۡقَهَّارُ)لجميع العالم العلوى و السفلى فلو كان له ولد لم يكن مقهورا ولكان له إدلال على أبيه و مناسبة منه

*و وحدته تعالى و قهره متلازمـــــــان:–

فالواحد لا يكون إلا قهارا و القهار لا يكون إلا واحدا و ذلك ينفى الشركة له من كل وجه 4

يخبر تعالى أنه (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ)

بالحكمة و المصلحة و ليأمر العباد و ينهاهم و يثيبهم و يعاقبهم.

(يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ)

يدخل كلا منهما على الآخر و يحله محله فلا يجتمع هذا و هذا بل إذا أتى أحدهما انعزل الآخر عن سلطانه.

*سَخَّرَهُمَا يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنَ لَا يَقِرَّانِ كُلٌّ مِنْهُمَا يَطْلُبُ الْآخَرَ طَلَبًا حَثِيثًا كَقَوْلِهِ:-

{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} [الْأَعْرَافِ:54]

(وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ)بتسخير منظم و سير مقنن.

(كُلࣱّ)من الشمس و القمر

(يَجۡرِي)متأثرا عن تسخيره تعالى

(لِأَجَلࣲ مُّسَمًّىۗ)و هو انقضاء هذه الدار و خرابها فيخرب اللّه آلاتها و شمسها و قمرها و ينشئ الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار الجنة أو النار.

(أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ)الذى لا يغالب القاهر لكل شيء الذي لا يستعصي عليه شيء الذي من عزته أوجد هذه المخلوقات العظيمة و سخرها تجرى بأمره.

(ٱلۡغَفَّٰرُ)لذنوب عباده التوابين المؤمنين كما قال تعالى:(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) الغفار لمن أشرك به بعد ما رأى من آياته العظيمة ثم تاب و أناب 5

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

و من عزته أن (خَلَقَكُم)

على كثرتكم و انتشاركم فى أنحاء الأرض–مَعَ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِكُمْ وَ أَصْنَافِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ

(مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) وَ هُوَ آدَمُ عليه السلام

(ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)ليسكن إليها و تسكن إليه و تتم بذلك النعمة–وَ هِيَ حَوَّاءُ كَقَوْلِهِ:-

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النِّسَاء:1]

(وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ)خلقها بقدر نازل منه رحمة بكم

(ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ)هى التى ذكرها في سورة الأنعام

{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} [الأَنْعَام:143] {وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ} [الأَنْعَام:144]

و خصها بالذكر مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها لـــــــ:-

1–كثرة نفعهـــــــا

2–و عموم مصالحها

3–و لشرفهـــــــا

4–و لاختصاصها بأشياء لا يصلح غيرها كالأضحية و الهدى و العقيقة و وجوب الزكاة فيها

5–و اختصاصها بالدية.

*و لما ذكر خلق أبينا و أمنا ذكر ابتداء خلقنا فقال:–(يَخۡلُقُكُمۡ)قدَّرَكُمْ

(فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ)

فى حال لا يد مخلوق تمسكم و لا عين تنظر إليكم و هو قد رباكم فى ذلك المكان الضيق

(خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ)طورا بعد طور

يَكُونُ أَحَدُكُمْ أَوَّلًا نُطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً ثُمَّ يُخْلَقُ فَيَكُونُ لَحمًا وَ عَظْمًا وَ عَصَبًا وَ عُرُوقًا وَ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَيَصِيرُ خَلْقًا آخَرَ {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [الْمُؤْمِنُونَ:14] .

(فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ)ظلمة البطن ثم ظلمة الرحم ثم ظلمة المشيمة[الَّتِي هِيَ كَالْغِشَاوَةِ وَ الْوِقَايَةِ عَلَى الْوَلَدِ]

(ذَٰلِكُمُ)الذي خلق السماوات و الأرض و سخر الشمس و القمر و خلقكم و خلق لكم الأنعام و النعم

(ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ)المألوه المعبود الذي رباكم و دبركم

(لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ)المتفرد بالملك المتوحد بالألوهية المستحق للعبادة وحده

*فكما أنه الواحد في خلقه و تربيته لا شريك له في ذلك فهو الواحد في ألوهيته لا شريك له

و لهذا قال: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ)فكيف (تُصۡرَفُونَ)تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره مِن خلقه؟

*بعد هذا البيان ببيان استحقاقه تعالى للإخلاص وحده إلى عبادة الأوثان التى لا تدبر شيئا و ليس لها من الأمر شيء 6

(إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ)

لا يضره كفركم كما لا ينتفع بطاعتكم و لكن أمره و نهيه لكم محض فضله و إحسانه عليكم.

*كَمَا قَالَ مُوسَى:{إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}[إِبْرَاهِيمَ:8]

*مسلم 2577-قال النبى ﷺ:-

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا

(وَلَا يَرۡضَىٰ)لَا يُحِبُّهُ وَ لَا يَأْمُرُ بِهِ

(لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ)

لكمال إحسانه بهم و علمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها و لأنه خلقهم لعبادته

فهي الغاية التي خلق لها الخلق فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم لأجله.

(وَإِن تَشۡكُرُواْ)للّه تعالى بتوحيده و إخلاص الدين له

(يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ)لرحمته بكم و محبته للإحسان عليكم و لفعلكم ما خلقكم لأجله.

و كما أنه لا يتضرر بشرككم و لا ينتفع بأعمالكم و توحيدكم كذلك كل أحد منكم له عمله من خير و شر

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ)لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا بَلْ كُلٌّ مُطَالَبٌ بِأَمْرِ نَفْسِهِ

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ)في يوم القيامة

(فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ)

إخبارا أحاط به علمه و جرى عليه قلمه و كتبته عليكم الحفظة الكرام و شهدت به عليكم الجوارح

فيجازى كلا منكم ما يستحقه.

طبيعة المشرك 8-9

(إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)

بنفس الصدور و ما فيها من وصف برٍّ أو فجور و المقصود من هذا الإخبار بالجزاء بالعدل التام 7

(وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ)يخبر تعالى عن كرمه بعبده و إحسانه و بره و قلة شكر عبده و أنه حين يمسه

(ضُرّٞ)من مرض أو فقر أو وقوع فى كربة بَحْرٍ أو غيره أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا اللّه

(دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ)فيدعوه متضرعا منيبا و يستغيث به في كشف ما نزل به و يلح في ذلك.

*عِنْدَ الْحَاجَةِ يَضْرَعُ وَ يَسْتَغِيثُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

كقوله {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا}[الإِسْرَاءِ:67]

(ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ)اللّه (نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ)بأن كشف ما به من الضر و الكربة

*فِي حَالِ الرَّفَاهِيَةِ يَنْسَى ذَلِكَ الدُّعَاءَ وَ التَّضَرُّعَ كقوله:-

{وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ}[يُونُسَ:12]

(نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ)

نسي ذلك الضر الذى دعا اللّه لأجله و مر كأنه ما أصابه ضر و استمر على شركه.

(وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا)فِي حَالِ الْعَافِيَةِ يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَ يَجْعَلُ لَهُ أَنْدَادًا.

(لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ)بنفسه و يضل غيره لأن الإضلال فرع عن الضلال فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

(قُلۡ)لهذا العاتى الذى بدل نعمة اللّه كفرا:—

(تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ)فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار.

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)

قُلْ لِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ وَ طَرِيقَتُهُ وَ مَسْلَكُهُ: تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا وَ هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَ وَعِيدٌ أَكِيدٌ

كَقَوْلِهِ:-{قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [إبْرَاهِيمَ:30] **وَ قَوْلُهُ:-**{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان:24] 8

(أَمَّنۡ)أم من(هُوَ قَٰنِتٌ) عابد لربه طائع له

(ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ)جَوْفُ اللَّيْلِ-وقيل :أَوَّلُهُ وَ أَوْسَطُهُ وَ آخِرُهُ.

(سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا)حَالِ سُجُودِهِ وَ فِي حَالِ قِيَامِهِ

وَ لِهَذَا اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْقُنُوتَ هُوَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ لَيْسَ هُوَ الْقِيَامُ وَحْدَهُ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ آخَرُونَ.

(يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ)فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ فَلْيَكُنِ الرَّجَاءُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ

*هذه مقابلة بين العامل بطاعة اللّه و غيره و بين العالم و الجاهل و أن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها و علم علما يقينا تفاوتها فليس المعرض عن طاعة ربه المتبع لهواه

كمن هو (قَٰنِتٌ)مطيع للّه بأفضل العبادات و هى الصلاة و أفضل الأوقات و هو أوقات الليل

فوصفه بكثرة العمل و أفضله ثم وصفه بالخوف و الرجاء

و ذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة على ما سلف من الذنوب و أن متعلق الرجاء رحمة اللّه فوصفه بالعمل الظاهر و الباطن.

(قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ)ربهم و يعلمون دينه الشرعي و دينه الجزائي و ما له في ذلك من الأسرار و الحكم

(وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ)شيئا من ذلك؟ لا يستوى هؤلاء و لا هؤلاء

كما لا يستوى الليل و النهار و الضياء و الظلام و الماء و النار.

(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ)إذا ذكروا

(أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)أهل العقول الزكية الذكية فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى

فيؤثرون العلم على الجهل و طاعة اللّه على مخالفته لأن لهم عقولا ترشدهم للنظر في العواقب

بخلاف من لا لب له و لا عقل فإنه يتخذ إلهه هواه 9

◄ أهل الرجاء والخوف

كُنتُ دائمًا أتأمل كيف امتدح الله سبحانه وتعالى أهل الرجاء والخوف في كتابه، كما في قول الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٣]، فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى، فإنك إذا خِفته هربت إليه. السجدة: ١٦

ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾[١]، قلتُ: سبحان الله! هم يبيتون ساجدين وقائمين ومع ذلك يخافون الآخرة ويرجون رحمة ربهم؛ لأنهم يشعرون أنهم لم يعملوا! فتأملوا كيف ذَكَر تعالى خوفَهم ورجاءَهم مع إتيانهم بهذه الطاعات. الزمر: ٩.

(قُلْ)مناديا لأشرف الخلق

(يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ)

أسباب الهداية و الثبات 10-20

و هم المؤمنون آمرا لهم بأفضل الأوامر و هى التقوى ذاكرا لهم السبب الموجب للتقوى و هو:-

ربوبية اللّه لهم و إنعامه عليهم المقتضى ذلك منهم أن يتقوه

و من ذلك ما مَنَّ اللّه عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى

كما تقول:- أيها الكريم تصدق و أيها الشجاع قاتل. و ذكر لهم الثواب المنشط فى الدنيا

فقال:-(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا)بعبادة ربهم

(حَسَنَةٌ)رزق واسع و نفس مطمئنة و قلب منشرح(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

(وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ)

إذا منعتم من عبادته فى أرض فهاجروا إلى غيرها تعبدون فيها ربكم و تتمكنون من إقامة دينكم

و لما قال: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ)

كان لبعض النفوس مجال في هذا الموضع و هو أن النص عام أنه كل من أحسن فله فى الدنيا حسنة

فما بال من آمن في أرض يضطهد فيها و يمتهن لا يحصل له ذلك

دفع هذا الظن بقوله: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ)و هنا بشارة نص عليها النبى ﷺ بقوله:-

« لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر اللّه وهم على ذلك »

تشير إليه هذه الآية و ترمي إليه من قريب و هو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة فمهما منعتم من عبادته في موضع فهاجروا إلى غيرها و هذا عام في كل زمان و مكان فلا بد أن يكون لكل مهاجر ملجأ من المسلمين يلجأ إليه و موضع يتمكن من إقامة دينه فيه.

(إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ)

هـــــذا عـــــام في جميـــــع أنواع الصبــــــر:-

1-الصبر على أقدار اللّه المؤلمة فلا يتسخطها

2-و الصبر عن معاصيه فلا يرتكبها

3-و الصبر على طاعته حتى يؤديها

فوعد اللّه الصابرين (أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)حد و لا عد و لا مقدار

و ما ذاك إلا لفضيلة الصبر و محله عند اللّه و أنه معين على كل الأمور 10

معاناة وآية

كنتُ ولا زلتُ أعاني نوعًا من المشقة في إيقاظ أبنائي على اختلاف أعمارهم لأداء صلاة الفجر في المسجد، ويتسرَّب إليَّ الضجر والملل في أحايين كثيرة، فكُنت لا أنفكُّ أقرأ بصوت مسموع قولَه تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ طه: ١٣٢ فأشعر بقوة تساندني، وأستشعر أنني الآن مستجيبة لأمر الله تعالى الذي طلبه مني في الآية، فأجالد نفسي على الصبر حتى أنال أجر الصابرين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ الزمر: ١٠

قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾
قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ
قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾
لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ
أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ
وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾

(قُلۡ) يا أيها الرسول للناس:-(إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ)

كما فى قوله فى أول السورة:-(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) 11

(وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ)أمرنى بأن أكون أول من أسلم من أمتى

*لأنى الداعى الهادى للخلق إلى ربهم فيقتضي أني أول من ائتمر بما آمر به و أول من أسلم

و هذا الأمر لا بد من إيقاعه من محمد ﷺ و ممن زعم أنه من أتباعه

فلابـــــد مـــــن:-

1–الإسلام في الأعمال الظاهرة

2–و الإخلاص لله في الأعمال الظاهرة و الباطنة 12

(قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي)

في ما أمرنى به من الإخلاص و الإسلام.

*وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَ هَذَا شَرْط وَ مَعْنَاهُ التَّعْرِيضُ بِغَيْرِهِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى

(عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ)يخلد فيه من أشرك و يعاقب فيه من عصى 13

(قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي)وَ هَذَا أَيْضًا تَهْدِيدٌ و تَبَرّ مِنْهُمْ 14

(فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ)كقوله(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)

(قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ)خَسَارا بَيِّنا ظَّاهِرا وَاضِحا حقيقةً هـم

(ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)حيث حرموها الثواب و استحقت بسببهم وخيم العقاب

(وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ)فرق بينهم و بينهم و اشتد عليهم الحزن و عظم الخسران

*تَفَارَقُوا فَلَا الْتِقَاءَ لَهُمْ أَبَدًا سَوَاءً ذَهَبَ أَهْلُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَ قَدْ ذَهَبُوا هُمْ إِلَى النَّارِ أَوْ أَنَّ الْجَمِيعَ أُسْكِنُوا النَّارَ وَ لَكِنْ لَا اجْتِمَاعَ لَهُمْ وَ لَا سُرُورَ

(أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ)

الذي ليس مثله خسران و هو خسران مستمر لا ربح بعده بل و لا سلامة 15

*ثم ذكر شدة ما يحصل لهم من الشقاء فقال:-

(لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ)قطع عذاب كالسحاب العظيم (مِّنَ ٱلنَّارِ)

(وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ) كما قَالَ:-{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الأعراف:41]

وَ قَالَ:{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت:55]

(ذَٰلِكَ)الوصف الذي وصفنا به عذاب أهل النار سوط يسوق الله به عباده إلى رحمته

إِنَّمَا يَقص خَبَرَ هَذَا الْكَائِنِ لَا مَحَالَةَ لـــــ(يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ)لِيَنْزَجِرُوا عَنِ الْمَحَارِمِ وَ الْمَآثِمِ.

(يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ)اخْشَوْا بَأْسِي وَ سَطْوَتِي وَ عَذَابِي وَ نِقْمَتِي.

*أي جعل ما أعده لأهل الشقاء من العذاب داع يدعو عباده إلى التقوى و زاجر عما يوجب العذاب

فسبحان من رحم عباده في كل شيء و سهل لهم الطرق الموصلة إليه و حثهم على سلوكها و رغبهم بكل مرغب تشتاق له النفوس و تطمئن له القلوب وحذرهم من العمل لغيره غاية التحذير

و ذكر لهم الأسباب الزاجرة عن تركه 16

*لما ذكر حال المجرمين ذكر حال المنيبين و ثوابهم فقال:-

(وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ)المراد بالطاغوت فى هذا الموضع عبادة غير الله

(أَن يَعۡبُدُوهَا)فاجتنبوها فى عبادتها

و هذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها.

(وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ)بعبادته و إخلاص الدين له فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام

و من الشرك و المعاصى إلى التوحيد و الطاعات

(لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ)التى لا يقادر قدرها و لا يعلم وصفها إلا من أكرمهم بها

و هــــــــذا شامــــــــل للبشرى فى الحياة الدنيـــــــا بـــــــــ:-

1-الثنـــــــــاء الحسن

2-و الــــــــرؤيا الصالحة

3-و العنـــــاية الربانية من اللّه التى يرون في خلالها أنه مريد لإكرامهم فى الدنيا و الآخرة

و لهـــــــم البشـــــــرى في الآخــــــــرة:-

عند الموت و في القبر و فى القيامة و خاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم

من دوام رضوانه و بره و إحسانه و حلول أمانه في الجنة.

و لما أخبر أن لهم البشرى أمره اللّه ببشارتهم و ذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة

فقال:-(فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ)

*يَفْهَمُونَهُ وَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ كَقَوْلِهِ لِمُوسَى حِينَ آتَاهُ التَّوْرَاةَ:{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}[الأَعْرَافِ:145]

*و هذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغى إيثاره مما ينبغي اجتنابه

*فلهذا من حزمهم و عقلهم أنهم يتبعون أحسنه و أحسنه على الإطلاق كلام اللّه و كلام رسوله

كما قال في هذه السورة:-(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)الآية.

و فى هذه الآية نكتة و هـــــــى:-

أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه كأنه قيل: -

هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب و حتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولى الألباب؟

قيل: نعم أحسنه ما نص اللّه عليه(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)الآية.

(ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ)أرشده و أحسن الكلام و أرشده كلام الله ثم كلام رسوله

(أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ)لأحسن الأخلاق و الأعمال-فى الدنيا و الاخرة

(وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ)العقول الزاكية.

*من لبهم و حزمهم أنهم عرفوا الحسن من غيره و آثروا ما ينبغى إيثاره على ما سواه

و هذا علامة العقل بل لا علامة للعقل سوى ذلك

*فإن الذي لا يميز بين الأقوال حسنها و قبيحها ليس من أهل العقول الصحيحة أو الذي يميز

لكن غلبت شهوته عقله فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر الأحسن كان ناقص العقل 18

(أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ)

أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه و عناده و كفره فإنه لا حيلة لك في هدايته و لا تقدر تنقذ من في النار لا محالة.

(لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ)

لكن الغنى كل الغنى و الفوز كل الفوز للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة و أنواع النعيم ما لا يقادر قدره.

(لَهُمۡ غُرَفٞ)منازل عالية مزخرفة من حسنها و بهائها و صفائها أنه يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها و من علوها و ارتفاعهاأنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي

و لهذا قال:–(مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ)بعضها فوق بعض

(مَّبۡنِيَّةٞ)بذهب و فضة و ملاطها المسك الأذفر.

*البخاري6555 - عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: -
«إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ»
*أحمد:- 8423-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهعَنِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَالَ:إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِيهَا كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ وَ الْكَوْكَبَ الشَّرْقِيَّ وَ الْكَوْكَبَ الْغَرْبِيَّ الْغَارِبَ فِي الْأُفُقِ الطَّالِعَ فِي تَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ
قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ قَالَ:بَلَى وَ الَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ أَقْوَامٌ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ صَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ

(تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ)

المتدفقة المسقية للبساتين الزاهرة و الأشجار الطاهرة فتغل بأنواع الثمار اللذيذة و الفاكهة النضيجة.

(وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ)

و قد وعد المتقين هذا الثواب فلا بد من الوفاء به فليوفوا بخصال التقوى ليوفيهم أجورهم20

(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ)يذكر تعالى أولي الألباب ما أنزله من السماء من الماء

جزاء المهتدين و الكافرين 21-26

(فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)أودعه فيها ينبوعا يستخرج بسهولة و يسر

(ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ)من بر و ذرة و شعير و أرز و غير ذلك.

(ثُمَّ يَهِيجُ)عند استكماله أو عند حدوث آفة فيه-بَعْدَ نَضَارَتِهِ وَ شَبَابِهِ يَكْتَهِلُ

(فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا)قَدْ خَالَطَهُ الْيُبْس

(ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ)ثُمَّ يَعُودُ يَابِسًا يَتَحَطَّمُ-متكسرا

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ)يذكرون بها عناية ربهم و رحمته بعباده

*حيث يسر لهم هذا الماء و خزنه بخزائن الأرض تبعا لمصالحهم.

و يذكرون به كمال قدرته و أنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها

و يذكرون به أن الفاعل لذلك هو المستحق للعبادة.

اللّهم اجعلنا من أولي الألباب الذين نوهت بذكرهم و هديتهم بما أعطيتهم من العقول

و أريتهم من أسرار كتابك و بديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم إنك أنت الوهاب.

*الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ بِهَذَا فَيَعْتَبِرُونَ إِلَى أَنَّ الدُّنْيَا هَكَذَا تَكُونُ خَضرةً نَضِرَةً حَسْنَاءَ ثُمَّ تَعُودُ عَجُوزا شَوْهَاءَ وَ الشَّابُّ يَعُودُ شَيْخًا هَرِما كَبِيراً ضَعِيفًا قَدْ خَالَطَهُ الْيُبْسُ وَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ الْمَوْتُ.

فَالسَّعِيدُ مَنْ كَانَ حَالُهُ بَعْدَهُ إِلَى خَيْرٍ

*وَ كَثِيراً مَا يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِمَا يُنَزِّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ وَ يُنْبِتُ بِهِ زُرُوعًا وَ ثِمَارًا ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ حُطاما كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} [الْكَهْفِ:45] 21

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

(أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ)أفيستوى من شرح اللّه

(صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ)فاتسع لتلقى أحكام اللّه و العمل بها منشرحا قرير العين على بصيرة من أمره

و هو المراد بقوله: (فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ)كمن ليس كذلك بدليل قوله:–

(فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ)

لا تلين لكتابه و لا تتذكر آياته و لا تطمئن بذكره بل هى معرضة عن ربها ملتفتة إلى غيره

فهؤلاء لهم الويل الشديد و الشر الكبير.

(أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ)و أى ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟

و من كل السعادة فى الإقبال عليه و قسا قلبه عن ذكره و أقبل على كل ما يضره؟ 22

(ٱللَّهُ نَزَّلَ)يخبر تعالى عن كتابه الذى نزله أنه

(أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ)على الإطلاق

فأحسن الحديث كلام اللّه

و أحسن الكتب المنزلة من كلام اللّه هذا القرآن

و إذا كان هو الأحسن عُلِم:–

1–أن ألفاظه أفصح الألفاظ و أوضحها

2–و أن معانيه أجل المعانى لأنه أحسن الحديث فى لفظه و معناه

(مُّتَشَٰبِهٗا)سِيَاقَاتِ الْقُرْآنِ تَارَةً تكونُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ فَهَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ

*(متشابها) فى الحسن و الائتلاف و عدم الاختلاف بوجه من الوجوه.

*حتى إنه كلما تدبره المتدبر و تفكر فيه المتفكر رأى من اتفاقه حتى فى معانيه الغامضة ما يبهر الناظرين

و يجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم هذا المراد بالتشابه فى هذا الموضع.

و أما في قوله تعالى:-(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)

فالمراد بها التي تشتبه على فهوم كثير من الناس و لا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم

و لهذا قال:–(مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)

فجعل التشابه لبعضه و هنا جعله كله (متشابها)أى: فى حسنه لأنـه قال:-

(أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ)هو سور و آيات و الجميع يشبه بعضه بعضا كما ذكرنا.

(مَّثَانِيَ)

1–تثنى فيه القصص و الأحكام و الوعد و الوعيد و صفات أهل الخير و صفات أهل الشر

2–و تثنى فيه أسماء اللّه و صفاته و هذا من جلالته و حسنه

فإنه تعالى لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب المكملة للأخلاق

و أن تلك المعانى للقلوب بمنزلة الماء لسقى الأشجار

فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت بل ربما تلفت

و كلما تكرر سقيها حسنت و أثمرت أنواع الثمار النافعة

فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معانى كلام اللّه تعالى عليه

و أنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن لم يقع منه موقعا و لم تحصل النتيجة منه

*و لهذا سلكت فى هذا التفسير هذا المسلك الكريم اقتداء بما هو تفسير له فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع

بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى غير مراع لما مضى مما يشبهه

و إن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض و أكثر فائدة

و هكذا ينبغى للقارئ للقرآن المتدبر لمعانيه أن لا يدع التدبر فى جميع المواضع منه فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير و نفع غزير.

3-وَ تَارَةً تكونُ بِذِكْرِ الشّيْءِ وَ ضِدِّهِ كَذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ الْكَافِرِينَ وَ كَصِفَةِ الْجَنَّةِ ثُمَّ صِفَةِ النَّارِ وَ مَا أَشْبَهَ هَذَا فَهَذَا مِنَ الْمَثَانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار:13 14]

وَ كَقَوْلِهِ {كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}[الْمُطَفِّفِينَ:7] إِلَى أَنْ قَالَ:{كَلا إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ} [الْمُطَفِّفِينَ:18]
{هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ}[ص:49] إِلَى أَنْ قَالَ: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ} [ص:55]
وَ نَحْوِ هَذَا مِنَ السِّيَاقَاتِ فَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْمَثَانِي أَيْ: فِي مَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ
وَ أَمَّا إِذَا كَانَ السِّيَاقُ كُلُّهُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَهُوَ الْمُتَشَابِهُ وَ لَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الْمَذْكُورِ
فِي قَوْلِهِ: {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}[آلِ عِمْرَانَ:7] ذَاكَ مَعْنًى آخَرُ.

*و لما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة و العظمة أثَّر فى قلوب أولى الألباب المهتدين

فلهذا قال تعالى:(تَقۡشَعِرُّ)تضطرب و تتحرك بالخوف(مِنۡهُ)مما فيه من الوعيد (جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ)
(عند ذكر الترهيب)

(ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ)

عند سماع آيات الرحمة و تطمئن إلى ذكر الله تعالى(عند ذكر الترغيب)

*فهو تارة يرغبهم لعمل الخير و تارة يرهبهم من عمل الشر.

*يروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أنا أعلم متى يستجاب لى و ذلك إذا اقشعر جلدى و وجل قلبى
و فاضت عيناى (وهو مروي عن ثابت البناني وأم الدرداء أن الوجل في القلب كاحتراق السعفة=انظر أيسر التفاسير)

(ذَٰلِكَ)الذى ذكره اللّه من تأثير القرآن فيهم—(ذَٰلِكَ)القرآن الذى وصفناه لكم.

(هُدَى ٱللَّهِ)هداية منه لعباده و هو من جملة فضله و إحسانه (هُدَى ٱللَّهِ)الذى لا طريق يوصل إلى اللّه إلا منه

(يَهۡدِي بِهِۦ)بسبب ذلك

(مَن يَشَآءُۚ)من عباده ممن حسن قصده كما قال تعالى(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ)
*هَذِهِ صِفَةُ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَ مَنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ فَهُوَ مِمَّنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[الرَّعْدِ:33]

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ)

لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه و التوفيق للإقبال على كتابه فإذا لم يحصل هذا فلا سبيل إلى الهدى

و ما هو إلا الضلال المبين و الشقاء23

(أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ)

أفيستوى هذا الذى هداه اللّه و وفقه لسلوك الطريق الموصلة لدار كرامته كمن كان في الضلال

و استمر على عناده حتى قدم القيامة فجاءه العذاب العظيم فجعل يتقى بوجهه الذى هو أشرف الأعضاء

و أدنى شيء من العذاب يؤثر فيه فهو يتقى فيه سوء العذاب لأنه قد غلت يداه و رجلاه

(وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ)أنفسهم بالكفر و المعاصى توبيخا و تقريعا:—

(ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ)كَمَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الْمُلْك:22]

وَ قَالَ:{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} [الْقَمَر:48]

وَ قَالَ تَعَالَى{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [فُصِّلَتْ:40]

وَ اكْتَفَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَحَدِ الْقِسْمَيْنِ عَنِ الْآخَرِ24

(كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)من الأمم كما كذب هؤلاء

(فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ)جاءهم فى غفلة أول نهار أو هم قائلون25

(فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ)بذلك العذاب

(ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ)فافتضحوا عند اللّه و عند خلقه

(وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ)

فليحذر هؤلاء من المقام على التكذيب فيصيبهم ما أصاب أولئك من التعذيب26

(وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ)

ضرب الامثال للناس 27-37

يخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميــــــــع الأمثـــــــال:-

1-أمثال أهل الخير

2-و أمثال أهل الشر

3-و أمثال التوحيد و الشرك

4-و كل مثل يقرب حقائق الأشياء و الحكمة في ذلك

(لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ)عندما نوضح لهم الحق فيعلمون و يعملون-فَإِنَّ الْمَثَلَ يُقَرّبِ الْمَعْنَى إِلَى الْأَذْهَانِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [الرُّوم:28] أى تَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

وَ قَالَ:{وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ} [الْعَنْكَبُوت:43] 27

جعلناه (قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا)واضح الألفاظ سهل المعانى خصوصا على العرب

(غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ)ليس فيه خلل و لا نقص بوجه من الوجوه لا فى ألفاظه و لا في معانيه

و هذا يستلزم كمال اعتداله و استقامته لقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا* قَيِّمًا)

(لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ)الله تعالى

حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية و العملية بهذا القرآن العربى المستقيم الذى ضرب اللّه فيه من كل مثل

28

*ثم ضرب مثلا للشرك و التوحيد فقال:-(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا)عبدا

(فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ)فهم كثيرون و ليسوا متفقين على أمر من الأمور و حالة من الحالات حتى تمكن راحته

*بل هم متشاكسون متنازعون فيه كل له مطلب يريد تنفيذه و يريد الآخر غيره

*فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

(وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) خالصا له قد عرف مقصود سيده و حصلت له الراحة التامة

(هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ)هذان الرجلان (مَثَلًاۚ) ؟لا يستويان.

كذلك المشرك فيه شركاء متشاكسون يدعو هذا ثم يدعو هذا فتراه لا يستقر له قرار و لا يطمئن قلبه فى موضع و الموحد مخلص لربه قد خلصه اللّه من الشركة لغيره فهو فى أتم راحة و أكمل طمأنينة

فــــــ(هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ)على تبيين الحق من الباطل و إرشاد الجهال(بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)29

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)كلكم لا بد أن يموت(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)

*هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي اسْتَشْهَدَ بِهَا الصِّدِّيقُ رضي الله عنه عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى تَحَقَّقَ النَّاسُ مَوْتَهُ مَعَ قَوْلِهِ:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عِمْرَانَ:144]

وَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ:-سَتُنْقَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ لَا مَحَالَةَ وَ سَتَجْتَمِعُونَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَ تَخْتَصِمُونَ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّوْحِيدِ وَ الشِّرْكِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ يَفْتَحُ بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ فَيُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُوَحِّدِينَ وَ يُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ الْجَاحِدِينَ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ.

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ -وَ إِنْ كَانَ سِيَاقُهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ وَ الْكَافِرِينَ و ذِكْرِ الْخُصُومَةِ بَيْنَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ- فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِكُلِّ مُتَنَازِعَيْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ تُعَادُ عَلَيْهِمُ الْخُصُومَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

*قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:-عَنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}

قَالَ الزُّبَيْرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُكَرَّرُ عَلَيْنَا الْخُصُومَةُ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: إِنَّ الْأَمْرَ إِذًا لَشَدِيدٌ30

(ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ)

فيما تنازعتم فيه فيفصل بينكم بحكمه العادل و يجازى كُلا ما عمله (أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ)31